كيف يمكن
لأحد أن يقول إنّ

اللّه صالح

غاري ميلِر

الكتاب: كيف يمكن لأحد أن يقول إنّ الله صالح

المؤلّف: غاري ميلر

ترجمة: إيليز أسمر

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: دار منهل الحياة

التصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص.ب. ١٦٥ منصورية، المتن - لبنان

هاتف: ٤٠١٩٢٢ ٤ ٩٦١+

فاكس: ٥٣٢٤٨١ ٤ ٩٦١ +

بريد إلكتروني: info@DarManhal.org

موقع إلكتروني: www.DarManhal.org

الناشر: دار منهل الحياة

الترقيم الدولي: ISBN: 978-614-460-099-3

جميع الحقوق باللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر،
وللناشر وحده حق إعادة الطبع والنشر من خلال النسخ المطبوعة
أو أي وسيلة سمعيّة أو بصريّة أو عبر الإنترنت في أي مكان.

المحتويات

الفصل الأول	٥
الفصل الثاني	١٣
الفصل الثالث	١٩
الفصل الرابع	٢٧
الفصل الخامس	٣٥
الفصل السادس	٤١
الفصل السابع	٤٩
الفصل الثامن	٥٧
الفصل التاسع	٦٥
رحلةُ المؤلف	٧٥
موارد أُخرى للمزيد من الدّراسة	٨٥
عن المؤلِّف	٨٧

الفصل الأول

انتابَ نِك ألمٌ في الظّهر بينما كان يُصعِد درّاجته على سلّم المبنى السّكني، ولكن يمكنه على الأقلّ أن يتأكّدَ من أنّها لن تختفي. وإذ به يعبسُ متذكّرًا تلك التي فقدها، ولذلك لن يجازف مرّةً أخرى مع الأقفال والسّلاسل. وبينما كان يتصارع مع الدرّاجة ليلتفَّ بها حول بسطة الدرج ويصعدَ آخر مجموعة أدراج، تنفّس متنهّدًا، ثمّ فتح الباب وأسند الدراجة إلى جدار ممشى الدخول. وتوجّه إلى المطبخ، وتناول بيرة من الثلاجة، واندفع نحو غرفة المعيشة حيث ألقى بنفسه على كرسيّه المريح.

يا له من يوم بائس! لم يكن شيءٌ على ما يرام. فقد وبّخه مديرُه في العمل بسبب تأخُّره، ثم تغيّب تيم عن الحضور، فاضطرَّ نِك أيضًا إلى الذهاب عنه لتغطية مساره في توصيل البريد، في ظلال الرّذاذ البارد المتساقط في ذلك اليوم من أيّام الخريف المبكرة.

لكن لم يكن هذا مهمًّا مقارنةً بالشّجار الذي حصل مع جيسيكا. نظر إلى السّاعة على جهاز الاستيريو، وفي غضون نصف

ساعة ستعود حبيبتُه من العمل إلى المنزل. كيف سيواجهُها؟ كان يعلم أنَّه أفسد الأمر حقًّا. كيف يمكنه أن يُعيدَ الأمورَ إلى مجاريها؟

عندما انتقلت جيسيكا للعيش معه منذ عامين، كانت الأمور رائعة. فقد كانا يخرجان معًا في نهاية كلّ أسبوع، وملأت رفقتُها فراغًا في حياة نِك. لكنَّ شيئًا ما تغيّر مؤخّرًا، وتزايد التوتّر في علاقتهما. راح نِك يفرك جبهته، محاولاً بكلّ جهد معرفة السَّبب. بدت جيسيكا بعيدةً وسريعةَ الانفعال طوال الأسابيع القليلة الماضية، وتذكّر كيف انفجرت غضبًا في وجهه عندما ترك حذاءَه في المَدخل. بالتأكيد كانت لديه أخطاء، لكنّه حاول جاهدًا إسعادها. تذكّر كلّ المرّات التي فيها اشترى لها البيتزا عندما لم تكن ترغب في الطَّهو، والأفلام التي شاهدها معها لأنها كانت مثيرة لاهتمامها. لكنَّ الأمور كانت لا تزال تتدهور بطريقة ما. فما الخطأ الذي حدث؟

أخيرًا، وصلت الأمور إلى ذروتها في اللّيلة الماضية. فكان قد أفرط في الشُّرب وتفاقم إحباطُه المكبوت، وما زال حتى الآن ينقبضُ قلبُه بسببِ الكلمات الجارحة التي صرخها في وجه جيسيكا. كان يعلم أنَّه جرحها بشدّة، ولم يرها قطّ قبل هذا الصّباح غيرَ راغبة في التحدّث إليه. ما الذي يمكنه أن يفعلَه الآن للتعويض عليها؟

تنهّد نِك وهو يحدّق ساهيًا عبر النافذة. كان يأمل أن يكون بيته مختلفًا عمّا هو عليه الآن، أي بيتًا مثل البيت الذي عهده كطفل قبل طلاق والديه، عندما كانت الحياة طبيعيَّة ومستقرَّة. كانت تلك الأيام سعيدة، لا سيّما عند الاحتفال بعيد الميلاد مع الجميع، والإجازات العائليّة، وإلخ.

كان مستعدًّا لتقديم أيّ شيء لاسترجاع هذا النوع من الحياة الأُسَرية! وظنّ أنّه ربّما يمكنه إصلاح الأمور مع جيسيكا. ففي النّهاية، لطالما تحدّثا كثيرًا وحلما بإنجاب الأطفال والاستمتاع ببقيّة حياتهما معًا. ربما يمكنه أن يعتذر إليها ويشتري لها بعض الزهور النّضرة.

وبعد أن قرَّر ماذا سيفعل، أسند نِك ظهره من جديد إلى الكرسيّ لإنهاء البيرة التي كان يحتسيها، لكنّ قلقه رفض أن يهدأ. ماذا لو رفضت جيسيكا التكلّم معه؟

طرد الأفكار المزعجة جانبًا، وكان من الأسهل عليه تذكّرُ الماضي بدلًا من مواجهة الحاضر. فكَّر مرّة أخرى في منزل طفولته، وهو بيت عائليّ تقليديّ إلى حدٍّ ما، بل وحتى قديم الطِراز. فقد كان لديه أخت واحدة فقط وكان والده يكسب ما يكفي من المال لتلبية احتياجاتهم، وبالتالي لم يكن لديه أيُّ عُذْر للتذمّر. كانت والدته تذهب إلى الكنيسة كلَّ أحَد، وعلى الرّغم

من أنَّ والده كان يبقى في المنزل ويشاهد التلفاز، فإنّه اتّفقَ مع زوجته على أنَّ الأطفال بحاجة إلى الدِّين. لذلك كان نِك وشقيقته يسيران كلّ يوم أحَد خلف والدتهما إلى الكنيسة. والآن، بعد سنواتٍ عديدة، ما زال يتذكّر بعض الترانيم والآيات التي تعلّماها في مدرسة الأحد.

ما زال أيضًا قادرًا على تذكّر شكوكه. فحتى عندما كان طفلاً كان يتساءَل: إذا كان الدِّينُ مهمًّا لهذه الدّرجة، فلماذا لم يكن أبي بحاجة إليه؟ كان لدى نِك شكٌّ خفيٌّ في أنَّ يسوع كان حكرًا على الجبناء والنّساء.

ثمَّ عندما كان نِك في الثانية عشرة من عمره، انفجر فجأةً عالـمُه الصّغير والمريح.

فبعد ظهر أحد الأيّام، عاد نِك وأخته إلى المنزل من المدرسة ليجدا منزلهما مقفلًا. كان المنزل خاليًا، وقد اختفت والدتُهما! كانت على علاقة برجل من كنيستها من دون علم العائلة، والآن أبلغتهم برسالتها بأنّها هربت "لبدء حياة جديدة"، حياة لا تشمل نِك أو أخته.

لكن على الرّغم من مرور سنواتٍ عديدة، ما زال نِك قادرًا على تذوّق عذاب تلك الليلة. كان بإمكانه أن يتخيَّلَ نفسَه مطمورًا

تحت الأغطية، وهو يبكي حتى ينام. فطِوالَ الأسابيع القليلة التالية عاش في ضباب من البؤس والاضطراب، وأخيرًا تحوّل خدَرُ خيانة والدته له إلى استياءٍ مرير.

لقد تعلّم بعض الأشياء حينها؛ أوّلاً، أنَّ كلَّ ما أخبرته أمُّه عن الإله المُحِبّ كان كذبة. لقد علّمَتْه الصّلاة، وشجَّعَتْه على حفظ آياتٍ من الكتاب المقدَّس، وأصرّت على أن يذهبَ إلى الكنيسة. لقد ادَّعَت أنَّ لديها هذه "العلاقة الشَّخصيَّة الرائعة مع الله"، أيًّا يكن معنى هذا، ومع ذلك، أدارت ظهرها وتخلّت عن عائلتها! فمنذ ذلك الحين لم يعدْ نِك يؤمن بالله، وحتى لو كان ثمّة إله، فمن المؤكّد أنّه لم يكن ذاك الذي عبَدَته أمُّه!

لم يشعر نِك قط أنّه قريبٌ من والده، ولا حتى بعد مغادرة والدته، وللتّعويض عن وحدته، بذل وقتَه وطاقتَه في المدرسة. لطالما أحبَّ أجهزة الكمبيوتر، وعلى مدى السّنوات العديدة التالية سعى وراء هذا الشَّغف، وتخرّج في الكليّة حائزًا شهادة في علوم الكمبيوتر. ابتسم وهو يتذكّر مدى فخره بحصوله على شهادته. لكنّ ابتسامته تلاشت حين تذكّر كيف راح يقدّم طلبات التوظيف الواحد تلو الآخر، من دون أن يحالفه الحظ. ومع ذلك، واجه المستقبل بتفاؤل. لقد تولّى وظيفةً في الخدمة البريديّة، واثقًا من أنّه سيجد في النّهاية الوظيفة المرتفعة الأجر التي

كان يحلم بها. وفي هذه الأثناء، قرّر التنعّم بكلّ ما في الحياة من متعات.

أدرك نِك بغتةً أنّ ذلك حصل منذ ثلاث سنوات. ثم فتح مسندَ القدمين في كرسيّه وفكّر في نفسِه عابسًا: لماذا لا تسير الأمور كما خطّطتُ لها؟

متجاهلاً شكوكه، عادَ إلى المشكلة المطروحة. كيف بوسعه استرضاءُ جيسيكا؟ كانت ستعود إلى المنزل قريبًا، وكان يعرفها بما يكفي ليدرك أنَّ هذا الأمر لن يكون سهلًا. وإذ توجّه نحو المطبخ لتناول بيرة أخرى، خطر في باله فجأة صديقُه المقرّب إريك. بالطبع! لماذا لم يفكّر فيه من قبل؟ لطالما كان قادرًا على الوثوق بنصيحة إريك، وبالتأكيد سيكون لديه بعض الأفكار الجيّدة. رسمَ التفكيرُ في صديقه ابتسامةً على وجهه. فالتقط هاتفه، وفكّر في أنَّه بمساعدة إريك يمكنه إيجاد حلٍّ قبل عودة جيسيكا إلى المنزل.

ثمَّ رأى رسالة.

كانت أمام مرآه على منضدة المطبخ، لكنّه بسبب قلقه لم يلاحظها سابقًا. فانتزعها وقرأ الرّسالة المكتوبة على عجلة.

نِك،

استلقيتُ على سريري الليلة الماضية أفكّر في الوقت الذي قضيناه معًا والأشياء التي قلتَها. لقد استنتجتُ أنني كنتُ حمقاء لبقائي معكَ كلّ هذه المدّة، لذلك سأغادر وآخذ الأموال التي كنّا ندّخرها للخطط المستقبليّة. وإذا كنت تعتقد أنَّ هذا ليس عادلاً، ففكِّر في من دفع ثمن الأثاث الذي تجلس عليه. يبدو هذا عادلاً بالنّسبة إليّ. لا تنسَ أنَّ الإيجار كان مستحقًّا الأسبوع الماضي.

نظرًا إلى أنّك ستكتشف الأمر قريبًا على أيّ حال، سأخبرك الآن. لقد تورّطت أنا وإريك في علاقة طوال الأشهر الماضية، وكان يحاول إقناعي بالانتقال للعيش معه. لم أكن متأكّدة من أنَّ هذا ما أريده حتى الليلة الماضية.

جيسيكا

الفصل الثاني

اخترق المنبّه اللجوج أخيرًا ضبابَ فكره الحالم، فتأوّه نِك متقلّبًا بينما بحثت أصابعُه عن الزرّ الذي يُخرِس الاقتحامَ غير المرغوب فيه. وأخيرًا أوقفه! وعاد نِك للاستلقاء على الفراش النّاعم، والأفكار تتراكض في ذهنه إذ يحاول جمع شتاتها. حقًّا يجب أن أنهضَ من السّرير قبل أن تذكّرني جيسيكا بذلك. ولاشعوريًّا كان ينتظر لمسة كوعِها اللجوج. فحدّقَ تجاه الوسادة المجعّدة وسأل نفسه هل استيقظَتْ قبله؟

ثمَّ صعقته ذكرى صدمة اللّيلة الماضية كموجة مقزّزة. لقد خسر جيسيكا وخسر أقرب أصدقائه، إريك.

تعثّر وهو يخرج من غرفة النّوم، فاستند إلى حائط المدخل، وبعيون قاتمة كان يتفحَّص غرفة المعيشة التي سادتها الفوضى. بدت وكأنّها منطقة حربٍ حيث تناثرت قطعٌ من الورق وأطراف عجينة البيتزا أرضًا، ووقع كرسيٌّ على الأرض، وتبعثرت علبُ البيرة على جميع الأسطح. فرك نِك جبهَتَه متسائلاً كيف وصلَ

إلى غرفة النّوم سالمًا. ركل بيأسٍ علبتَي بيرة في طريقه وتوجّه نحو الكرسي، وبعد أن ألقى بنفسه في نعومتها، أرجع رأسه إلى خلف وأغمض عينيه، ثمَّ حاول أن يتجاهلَ الصُّداع والغثيان غيرَ المنقطعَين نتيجة صداع الكحول.

حدّق في السّاعة؛ فإذا لم يتحرّك، فسوف يتأخّر عن العمل مرّة أخرى، لكنّه لم يكترث. وعندما استعاد عقلُه اليقظة، عاد وأصابه كلُّ الألم الذي نجا منه لفترة وجيزة في اللّيلة الماضية. لم تكن الحياة قط مظلمةً لهذه الدّرجة.

سبقَ أن عانى نِك خيبةَ أمل. عندما غادرت والدته، ظنَّ أنه لن يتعافى أبدًا، ولكن حتى عندما كان يبكي على وسادته، شعرَ ببعض الرّاحة لعلمِهِ أنَّ أخته كانت في الغرفة المجاورة تفعل الشَّيءَ نفسه. لكنّ وضعه الآن كان مُختلفًا، وكان وحيدًا تمامًا هذه المرّة. لقد خانه أفضلُ صديقَين له، وهما الشَّخصان الوحيدان على وجه الأرض اللذان يثق بهما حقًّا. لم تكن لديه علاقات أخرى وثيقة، وكان يتحدّث إلى والده مرّة أو مرّتين في السّنة، ولم يتواصل مع أخته مذ كان في الكليّة.

وللمرّةِ الأولى في حياته فكّر لفترة وجيزة في الانتحار.

بعد أن أخذ نِك حقيبة البريد الخاصَّة به من مكتب البريد، انطلق في طريقه. فقد بدا أنَّ الرُّوتين المتمثل في رؤية الأشخاص

المألوفين في كلّ محطَّة، بالتزامن مع النشاط البدني عند السّير على الأقدام، يخفّفان الألم ويساعدانه على نسيان ظروفه. ولكن عندما ركب درّاجته بعد العمل وعاد إلى المنزل، عادت إليه الكلماتُ التي كتبَتها جيسيكا. فأخذ يقود الدراجة بمزيد من السّرعة، محاولًا الهروب من غضبه ويأسه.

توقّف عند مطعم وجبات سريعة، والتقط شطيرةً ثمَّ خرج. وكان شابٌّ مبتسمٌ يقف بجانب موقف الدرّاجات، ومن الواضح أنه ينتظر شخصًا ما.

"مرحبًا! إليكَ شيءٌ يجب أن تقرأه حقًّا!" وقدّم الشابّ ورقةً لنِك.

قرأ نِك الكلمات المطبوعة على غلاف المنشور، "المسيح هو الجواب!" فأزعجته السّذاجة المطلقة.

"ألا تظنّ أنَّه من الغباء بعض الشَّيء أن تخبرَ النّاسَ عشوائيًّا ما هي الإجابة قبل أن تعرف ما هو سؤالهم؟ إذا تقدّمتُ إليك وقلتُ لك إنَّ الإجابة هي خمسة من دون الاستماع إلى سؤالك وفهمِه، ألن تظنّ أنّني فاقدٌ صوابي؟"

ركب نِك دراجته وهو يهزّ برأسه، لكنّ الشابّ لم ينتهِ. متجاهلاً جواب نِك، تابع بفرح: "يا سيّد، هل تعلم أنَّ الله يحبّك

ولديه خطّة رائعة لحياتك؟" استشاط نِك غضبًا، وشعر برغبةٍ في إمساكِ الشابّ ونزع تلك الابتسامة عن وجهه، وبعد ذلك، تحطيمِ جميع مفاهيمه الصّغيرة اللطيفة المُسبَقة وإظهار مدى وهن حججه. كيف يمكن لهذا المراهق الذي على الأرجح تخرّج للتوّ في المدرسة الثانويّة أن يفترض أنه يفهم تعقيد وضعه، من ثمَّ يعطيه قطعةً صغيرةً جدًّا من الورق التي من المفترض أن تقدّمَ حلاًّ له؟

دفع نِك برجليه دوّاساتِ دراجته، قامعًا رغبته في الرَدّ. ثمَّ أجاب باقتضاب ملتفتًا إلى الوراء: "لا، شكرًا. لديَّ خطتي الخاصَّة لحياتي."

ومع هبوب الرّيح في وجهه، راح يتذكّر المشهد. يمكن للمتديّنين أن يكونوا جاهلين للغاية. كيف يمكن لأحد أن يكون أعمى لهذه الدّرجة؟ في ضوء كلّ الدّلائل التي تناقض وجود الله، كيف يمكن لهذا الشابّ أن يؤمن به؟ وخصوصًا الله الذي يحب النّاس. أطلق نِك زفيرًا؛ فإنَّ العالم يزخر بالمشاكل والألم، وإذا كان هذا الإله الرائع موجودًا، فلماذا لم يفعل شيئًا حيال ذلك؟ لماذا يجب أن يحمل النّاس أوراقًا صغيرة لإرضاء الآخرين بكذبةٍ عن إلهٍ يحبُّهم تشعرُهم بالراحة، من ثمّ من المفترض أن يكون كلّ شيء على ما يرام؟ لو كان نِك صاحبَ القرار لوضَعَهم في السّجن بسبب نشرهم الدّعايات الكاذبة!

وإذ كان نِك لا يزال في فورة غضبه، وصل إلى مبنى شقَّتِه. ماذا يُفترض عليه أن يفعَلَ الآن؟ أيجلس وحيدًا ويشاهد التّلفاز؟ أيبحثُ عن غرفةِ دردشةٍ سخيفةٍ على الإنترنت ويتواصل مع أشخاص وحيدين وأنانيّين؟

فتح باب الدّرَج وبدأ بالصّعود. وفيما كان يلتفُّ حول الطابق الأوّل فإذا بعجَلة الدراجة الخلفيّة تعلق بالدرابزين فتنتزع الدراجة من قبضته وتكاد تُسقطه أرضًا. وراحت الدراجة تتساقط على الدّرج لتتحطّمَ على الأرضيّة الخشبيّة في الأسفل. لحق بها نِك وهو يلعن، وانحنى لمعاينة الأضرار. لقد تشابكت حدائد المكابح بعضها ببعض بزوايا مختلفة، وتمزّق جزءٌ من حَبل المكابح.

ركلَ نِك الدّرجة الأولى من السّلالم. فإنّ درّاجته التي لم يُنهِ بعد سداد ثمنها قد تضرّرت الآن بما يتجاوز قدرته على إصلاحها، وكلّ ذلك بسبب إهماله. ففكّر في قلبه: يا لها من خاتمة مناسبة لأسبوع رهيب! في كلّ مرّة أظنّ أنَّ الأمور لا يمكن أن تسوء أكثر، إذا بي أجدها تسوء! ها قد تبخّرت خططي لقضاء صباح يوم سبت على مهل للتفكير في مستقبلي. فبدلاً من ذلك، سأقوم بزيارة متجر أندي للدّراجات.

الفصل الثالث

كعامل بريد، كان نِك يحظى بفرصة النّظر عن كثب إلى حياة النّاس داخل مجتمعه. فإنَّ المجلّات والكتالوجات التي يستلمونها، وتواترَ إجازاتهم، وحتى كميّة بريدهم تكشف الكثير عنهم. لم يقوَ نِك على مقاومة الرّغبة الفضوليّة في المعرفة عن حياة أندي مولينز الشَخصيَّة، وهو مصلح الدراجات الذي يعيش في شقّةٍ فوق متجره الصَّغير. يتلقى أندي كميَّة غير عاديَّة من البريد، ولم يكن الجزءُ الأكبر منها منشوراتٍ وإعلانات، بل مراسلات خاصَّة من عناوين متنوّعة. لم يكن لدى نِك أيُّ محطّات أخرى مشابهة لهذه.

في الصّباح الباكر من اليوم التالي، سار نِك بدرّاجته على بُعد ثلاث بنايات إلى متجر أندي. ونظرًا إلى أنه لم يكن على اتصال بأندي باستثناء إلقاء التحيَّة عليه كلّ يوم في أثناء توصيله البريد، لم يكن في الحقيقة يعرف الكثير عنه، لكنّ الرَّجُل بدا ودودًا ويسهلُ التقرّب منه.

عندما دخل نِك إلى المتجر، رأى أندي يتحدَّث مع سيّدة أكبر سنًّا في الجزء الخلفيّ من المتجر. لم يلاحظ أيٌّ منهما وجوده، لذلك وضع درّاجته على الحائط وراح يبحث عن إكسسوارات ركوب الدرّاجات. كان يرغب في الحصول على مقعد دراجة مختلف، وفي أثناء مقارنة الخيارات على طول الجدار أمامه، لم يقوَ نِك على الامتناع عن الاستماع إلى المحادثة التي كانت تجري في الجزء الخلفيّ من المحلّ. كانت المرأة تشارك مشاكلها الشَخصيَّة، وعلى الرّغم من أنّها تكلّمت بهدوء، فإنَّ صدى المحلّ الفارغ ردّد كلماتها بوضوح. وللمفارقة، كانت كلماتُها تردّدُ صدى أفكاره.

"أتساءَل أحيانًا لماذا يجب أن أستمرّ في العيش. لماذا لا آخذ مجموعة من مسكّنات الألم وأنهي كلَّ شيء؟" بدافعٍ من فضوله، اقترب نِك ببطءٍ نحو مكان المحادثة. "لن تفتقدني عائلتي؛ فإنَّ أولادي لم يتّصلوا بي في عيد الميلاد، ومات جيم منذ أكثر من خمس سنوات، وآخر مرّة كنتُ فيها في المستشفى، لم يزرني أحدٌ غيرُكَ."

ساد الصَّمتُ المحلَّ، أمّا أندي الذي راح يعيد تخزين الرفوف فلم يُجِبْها بكلمة.

"ربّما لو كنتُ أملك مالاً أو كنتُ سأترك خلفي ميراثًا لكان الناس أظهروا لي الاهتمام."

أدركَ نِك أنّه كان يتنصّت وشعر بوخز الذنب. لم يكن متأكّدًا ممّا يجب فعله؛ هل يُصدِر حفيفًا بقدميه أو يسعل ليُعلمَهما أنّه هناك؟ ولكن أراد الاستماع إلى بقيّة المحادثة. كانت هذه المرأة تعبّر عن وحدتها ورفضها، فحدّق نِك بقناني المياه الملوّنة المعروضة، متسائلاً كيف سيُجيبها أندي.

وبدلاً من ذلك، واصلت المرأةُ كلامَها قائلةً: "أعلمُ أنّك ستقول إنَّ الله يهتمُّ لأمري ويحبُّني وإنّه عليَّ أن أتعلّمَ أن أعرفه وأثق به. بطريقةٍ ما عندما أتحدّث إليك، يبدو الله حقيقيًّا جدًّا، لكن عندما أعود إلى المنزل، يبدو بعيدًا للغاية."

توقفت هنيهة قبل أن تُكمِل: "ما زلتُ أحتفظ بالكتاب المقدَّس الذي أعطيتَني إيّاه، فربّما يجدر بي محاولة قراءَته. لست أدري ماذا يمكنني فعلُه غير هذا."

تلاشى صوتُ المرأة الحزين إذ استدارت ببطء وخطت خطوة نحو الباب الأماميّ، لكنّ أندي أوقَفَها وقال: "انتظري لحظة."

ذهب إلى المشغل خلف المتجر، وعاد بصحن صغير من البسكويت، وقال لها بهدوء: "هذا شيء صغير لكِ. أحضَرَتْه إحدى عائلات الكنيسة، وقد قدّموا لنا أكثر بكثير ممّا نحتاج إليه. فقط تذكّري أنّك محبوبة ولستِ وحيدة."

أشرق وجهُها وهي تأخذ الطّبَق، لكنّها احتجَّت قائلةً: "أنت دائمًا تقدّم لي هدايا. لا أستطيع أن أستمرّ على هذا المنوال!"

وعندها لاحظ أندي وجود نِك، وتوجّه إلى المرأة ببضع كلمات وبصوتٍ خافت. وعندما رحلت نادى أندي نِك وسأله: "هل يمكنني مساعدتكَ؟" أراهُ نِك درّاجته، فحملها أندي إلى مشغله في الخلف وثبّتها على طاولة التصليح وراح يتفحّص الضَّرَر. "من الممكن إصلاح المكابح، لكن سيتعيّن علينا طلب حدائد جديدة." بحث أندي على جهاز الكمبيوتر الخاصّ به عن القطع التي يجب استبدالها.

وبينما كان نِك ينتظر، فكّر في المحادثة التي سمعها للتوّ. من الواضح أنَّ أندي كان مسيحيًّا، أي أحد هؤلاء الجهلة الذين يؤمنون بإلهٍ لا يرونه. طرحَت المرأةُ بعضَ الأسئلة الجيدة، لكن لم يبدو أنَّ لأندي أيُّ إجابات مفيدة.

"لم يسعني إلّا الاستماع إلى مناقشتك مع تلك المرأة. لديها مشاكل حقيقيّة، وبدلاً من تقديم الحلول، أعطيتَها بعض البسكويت. ماذا يفترض بها أن تفعل عندما ينتهي البسكويت؟" أراد أن يبقى مهذّبًا، لكنّه لم يستطع إخفاءَ السُّخرية في نبرة صوته. انتظرَ ليرى كيف سيجيبُه أندي، ولكن عندما استجاب بمجرّد ابتسامةٍ صغيرة واستمرّ بالكتابة، واصل نِك كلامه بابتسامة

صفراء متعالية: "في الواقع، كانت مشاركتُها البسكويت أفضلَ من إخبارها بأن تثقَ بإلهٍ غير موجود. على الأقلّ يمكنُها أن تأكل البسكويت."

توقف نِك مرّةً أخرى، متسائلاً لماذا لم يردّ أندي. ربّما أدرك أندي وهنَ ملاحظاته.

أفسحَ نِك في المجال عندما دخلت امرأةٌ إلى المتجر ووضعت طبقًا من الطعام على طاولة، ثمَّ تبادلت بضع الكلمات مع أندي وغادرت. أمّا أندي الذي ما برح يعمل على الكمبيوتر، فقد بدا غيرَ راغبٍ بالردّ على حجج نِك، فراح هذا الأخير يضغط أكثر فأكثر.

"يبدو الإيمانُ بكائنٍ أسمى رائعًا للعديد من أصحاب العقول البسيطة، ولكن عندما تصبح الحياة صعبة، لن يحلَّ الإلهُ الوهميُّ المشاكلَ الحقيقيّة في حياة الناس الحقيقيّين."

أطلق نِك ذلك التحدّي وصمت، وعندما أنهى أندي عمله، أجاب بهدوء من دون أن ينظر إلى نِك: "يبدو هذا منطقيًّا. لماذا يثق المرءُ بشيءٍ غير موجود؟"

لم يكن نِك متأكدًا من كيفيّة الرَدّ، ولكن قبل أن يتمكن من التحدّث، أشار أندي إلى الكمبيوتر وقال: "لقد وجدتُ مصدرًا

لحدائد الفرامل، لكن سيستغرق الأمرُ أسبوعًا تقريبًا لجلبها. إنّ طراز درّاجتك هو إصدار محدود، لذا يصعب العثور على أجزاءٍ لها."

للحظة، ضمَّ أندي شفتيه مفكّرًا، ثمَّ أدار كرسيَّه ونظر مباشرة في عينَي نِك، وسأله بقلقٍ واضحٍ: "هل تواجه بعض المشاكل؟"

أخذ السّؤالُ غيرُ المتوقّع نِك على حين غرّة. فبالكاد يعرف هذا الرّجل، وانطلاقًا من اللوحات المعلّقة على الجدران، لا بدَّ من أنّه متديّن، لكنّه لم يتصرّف مثل غيره من المتديّنين الذين التقى بهم. ففكّر نِك في نفسِه "يجدر بي أن أقول له أن يهتمَّ بشؤونه. ولكن مهلاً، لماذا لا أعطيه لمحةً عن الواقع؟"

وهكذا فعل؛ فقد باحَ بكلِّ المشاكل التي كان يواجهُها ولم يستثنِ أيّ شيء، مبتدئًا بمدرسة الأحد وما أخبروه عن الإله الخياليّ. لقد كشف عن قصّة حياته كلّها. أخبره عن والدته التي هربت مع رجلٍ من الكنيسة، ما دفع نِك إلى الاعتقاد بأنَّ المسيحيّين منافقون وأنَّ الإيمان بالله كان مجرّد عكّازٍ مناسبٍ للأشخاص الذين لا يستطيعون التّعامل مع الواقع. وصفَ الخطط التي وضعَها هو وجيسيكا، وكيف خانه أفضلُ صديق له أي إريك، وكيف تخلّى عنه كلاهما. والآن وجد نفسه وحيدًا، بدون عائلة أو أصدقاء.

وفي أثناء حديثه، تجوّل نِك في المشغل الصَّغير، وكان صوته يرتفع من شدَّة الإحباط. وأشار إلى لافتة معلّقة على الحائط واختتم قائلاً: "انظر إلى تلك اللّافتة السَّخيفة التي تقول إنَّ الله صالح. صالح لأيّ أمر؟ إذا كان هناك إلهٌ، فلماذا لا يفعل شيئًا؟ قد يكون إلهك الوهميُّ ضعيفًا أو قد يكون شرّيرًا، لكن لا تحاول إخباري أنّه صالح! إذا كان موجودًا، فمن المؤكّد أنّه لا يفعل أيَّ شيء حيال مشاكلي!"

بات نِك الآن يصرخ في وجه أندي، ولم ينتهِ بعد من التكلّم.

"اتّصل بي صاحبُ العقار أمسِ متسائلاً عن سبب عدم دفع الإيجار. لا يهمُّه إذا سرقتْ حبيبتي - السّابقة- المالَ أم لا، إنّه يريد ماله وحسب. هل تعلم من يكون؟ إنه مسيحيٌّ آخر منافقٌ. لديه لافتة على سيّارته المرسيدس مفادها: 'المسيحيّون ليسوا مثاليّين، إنّما غُفِر لهم فحسب!' والآن آتي إلى هنا، وها أنتَ تخبرني بأنَّ درّاجتي لن تكون جاهزة قبل أسبوع. كيف أذهب إلى العمل غدًا؟ وأين هو هذا الإله الرائع الذي تريد منّي أن أومن به عندما أحتاج إليه؟"

بعد أن شعر بالحرج والغضب لأنّه فقد السَّيطرة، خربش نِك معلومات الاتّصال الخاصَّة به على قطعة من الورق وخبطها على المكتب، وغادر مُطلِقًا الرّصاصة الأخيرة: "اتّصل بي عندما

تُصلِح درّاجتي، لكن لا تحاول إخباري عن إلهٍ صالح، ولا تعطِني البسكويت!"

الفصل الرابع

ضحك نِك في طريق العودة إلى المنزل، بينما قال في ذهنه: "أنا متأكّد من أنّني صحّحتُ مفاهيم أندي! مع ما يملكه من عمل صغير لطيف وعلى الأرجح زوجة وعائلة تهتمان به، كان لا بدَّ للسيّد الواعظ من أن يستمع إلى بعض المشاكل الحقيقيّة."

لكنّه لم يضحك طويلاً لأنّ مشاكله لم تنتهِ بعد. كان لا يزال بحاجة إلى وسيلة مواصلات للذّهاب إلى العمل صباح الاثنين، ثمّ عليه أن يدفع الإيجار. قال المالكُ إنّه يحتاج إلى المال في غضون أيّام قليلة، ولن يتقاضى نِك راتبه حتى نهاية الأسبوع المقبل.

صعد الدّرَج إلى شقّته، وعند وصوله إلى الباب أطلق هاتفه إشارة صوتيّة، ففتحه وقرأ الرّسالة النصيّة:

لن أستخدم دراجتي الأسبوع المقبل، إذا كان ذلك سيساعد.
– أندي

لقد كان هذا العرضُ بسيطًا، لكنَّ اللّطفَ غير المتوقّع أصاب

نِك في الصَّميم مثل لكمةٍ في معدته، ما أدّى إلى إفراغه من كلّ غضبه. شعر كما لو أنّه كان يتعثّر في غرفةٍ حالكةِ السَّواد ومليئَةٍ بالعوائق، وإذا بقبس من النّور يظهر فجأة فيضيء شرارة صغيرة من الأمل. قد يكون أندي مهووسًا بالدِّين، لكنّه على الأقلّ كان شخصًا لطيفًا.

مستلقيًا في سريره ووحيدًا في تلك اللّيلة، حدّق في السَّقف وهو يفكّر في تفاعله مع صاحب المتجر. وارتسم أمامه مشهدان لم يستطع محوَهما من ذهنه.

الأوَّل كان ردّ أندي عليه؛ فقد سأل أندي ببساطة هل كانَ نِك يُعاني أي صعوبات. لكنّ نِك ردَّ بإهانة ذكاء أندي والسُّخرية من معتقداته الدّينيَّة والاستهزاء بلطفه المتمثّل بإعطاء طبق من البسكويت لسيّدةٍ عجوز. استدار نِك بصعوبة. لو عامله أحدٌ بهذه الطريقة لكان سيخرج ليقتله. أمّا أندي فلم يجادل أو يُجِبه بقساوة. وقد رأى نِك دمعةً تنهمر على وجه أندي في نهاية خطابه، فتمنّى لو تحدّث بهدوء أكثر.

أمّا المشهد الثاني فأنتج ردَّةَ فعلٍ أقوى داخل نِك. في الواقع، إنَّ مجردَ التفكير في الأمر الآن أثار غضبه. فقد تذكّر اللّافتة المعلّقة في مكتب أندي والتي تعلن:

لم يكن نِك متأكّدًا من سبب غضبه الشّديد من تلك اللّافتة. وبينما كان مستلقيًا على السَّرير، حاول تحليل مشاعره. هل كان يشعر بالاستياء لأنَّ اللّافتة الواقفة بثقةٍ في وجه الأدلّة العلميّة تؤكّد أنَّ الله موجود؟ أو بسبب الافتراض السَّخيف أنَّ هذا الإله القدير صالح؟ أو هل كان منزعجًا فقط لأنَّ هذا الرّجل الذي يعيش حياةً سهلة كان يتجاهل كلَّ الآلام والمعاناة الموجودة في العالم، ويغطّيها بعلامة تعلن أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام؟

حلَّ النّومُ على نِك ببطء بعد أن تقلّب مرارًا وتكرارًا، ولم يستيقظ في اليوم التالي إلا قبيل الظهر. جلس محاوِلاً متابعة عدد من المسلسلات التلفزيونيّة، لكنّ عقله بقي يفكّر في جيسيكا. "أتساءَل ما الذي تفعله. هل من طريقة ممكنة لإصلاح الأمور معها؟ هل هي مع إريك الآن؟" مدَّ يده وتناول بيرة أخرى.

جاءَ صباح الاثنين، ووجد نِك نفسه يجتاز يومًا آخر بطريقة آليّة. وإذ لم يكن هناك شيءٌ أمامه يتطلّع إليه سوى حملِ البريد والعودة إلى منزلٍ فارغٍ وتوسُّلِ رحمة صاحب العقار، فقد تلاشى

طموحه الطبيعيّ. وفي ذلك المساء، صعد السَّلالم حاملاً درّاجة أندي وآملاً أن يكون المالِك قد نسي الإيجار.

لكنَّ الحظّ لم يكن حليفه؛ فقبل أن يصلَ إلى شقّتِه، رأى الإشعار مثبّتًا على الباب. فقام بنزعه مجتازًا الباب، ثمَّ أسندَ الدرّاجة إلى الحائط وألقى بنفسِه على كرسيّه. وجلس للحظة، وراح يماطل خائفًا من قراءَة المحتوى. كان يعرف مفاده: إذا لم تتمكن من الحصول على المال فاخرج. لقد انتهت فترةُ السّماح، ولا شيءَ كافٍ سوى المال الذي لم يكن بحوزته.

فتح المغلّف، وقرأ المذكّرة.

لقد أصابته الدّهشة.

"نِك،

لقد جاءَ رجلٌ اليوم ودفع إيجار الشّهر الماضي. أراد أن يبقى مجهول الهويّة، ولكن سُدَّ حسابُك حتى الآن. قال إنَّه يريد فقط مساعدتك.

نشجّعُك على عدم السّماح بأن يحدُثَ هذا مرّة أُخرى.

—شركة "آل ستار" لإدارة الممتلكات"

فرك نِك جبهته. هل كانت هذه مزحة؟ من سمعَ عن متبرّعٍ مجهول يدفع إيجار شخص آخر؟ إنَّ الشَّخصَ الوحيد الذي كان على علمٍ بوضعِهِ في ما يتعلّق بالإيجار هو جيسيكا. قفز قلبُه فجأة، متسائلاً هل غيّرت موقفَها تجاهه. لكن لا يمكن أن تكون هي لأنّه قيل في المذكّرة إنّه كان رجلاً. وفجأة تذكّر أندي. أتراه يكون الفاعل؟

متّجهًا إلى أسفل الدّرج، ركب درّاجته نحو متجر الدراجات، فوجدَ أندي يغنّي بينما كان يعمل في الخلف. متجاهلاً المجاملات، دخل نِك مباشرةً في بيت القصيد.

"أندي، هل تعرف شيئًا عن شخصٍ دفع إيجاري؟"

"دفع إيجارَك؟ لا. أذكُرُ أنّك قلت إنّك في ورطة، وإذا لم تسدّ على الفور فستضطرّ إلى الرّحيل. هل دفعَه شخصٌ آخر؟"

"أجل! عندما وصلتُ إلى المنزل هذا المساء، وجدتُ رسالةً معلّقةً على الباب، ولكن بدلاً من إشعار الإخلاء، أفادتِ الرّسالةُ بأنَّ شخصًا مجهولاً دفع إيجاري!" حدّق أحدُهما بالآخر، والجباه معقودة. ثمَّ فجأةً انفرجت أسارير وجه أندي.

"أجل! أظنّ أنّني أعرف ما قد حدث."

"حقًّا؟"

"ربّما. يلتقي العديدُ من رجال كنيستِنا الواقعة في الشّارع الخامس صباح يوم الأحد قبل الكنيسة للصَّلاة. نصلّي ونتشاركُ الاحتياجات والاهتمامات. ربّما لم يجدر بي فعلُ ذلك، لكنّي ذكرتُ وضعَك وبعضَ المشاكل التي تواجهها. لم أذكرِ اسمَك، لكن سألني لاحقًا أحدُ الرجال على انفراد عن إمكانيّة فعل أي شيء للمساعدة. أخبرته عن وضع الإيجار الخاصّ بك، وسألَ عن اسمِكَ والمجمّع الذي تقع فيه شقّتُك. هذا كلّ ما أعرفه."

"هل تظنّ أنّه هو الذي دفعَ الإيجار؟"

"هذا ممكن. ليس غيرَ مألوف أن يحدثَ هذا النّوع من الأشياء."

دخل أحدُ العملاء من الباب الأماميّ فذهب أندي لمساعدته، أمّا نِك فظلَّ متّكئًا على المنضدة في صمت وذهول. إنّه أمرٌ جريء أن يدفَعَ أحدُهم الإيجارَ عن شخصٍ لا يعرفه! لم يسبق له أن سمع شيئًا من هذا القبيل. ما هو الردّ المناسب عندما يدفع شخصٌ مجهول إيجارك؟ أتتصرّف كأنّه أمرٌ طبيعيّ؟ لكن ما حيّرَه حقًّا هو ردّ أندي لأنّه لم يتصرّف حتى وكأنّه مصدوم. لقد قال ببساطة إنَّ هذا النّوع من الأشياء ليس غيرَ مألوف. أجل بالطبع!

توجّه بنظره إلى فوق مكتب أندي، وتأمّلَ مرّةً أخرى تلك اللّافتة. من المحتمل أن يقول أندي إنَّ ثمّة إلهٍ صالح له دورٌ في ما حصل. ارتسمت ابتسامةٌ ساخرةٌ على وجه نِك. فقد كان يفكّر منطقيًّا، ويعلم أنَّ هناك بعض الأشخاص الطيّبون على نحوٍ رائع . لكن هل مِن إلهٍ صالحٍ كلّيِّ القدرة؟ لو كان هذا صحيحًا، لاختلفت أمورٌ كثيرةٌ في العالم.

بينما كان ينتظر عودة أندي، أدرك فجأة أنَّ المحادثة في الجزء الخلفيِّ من المتجر لا علاقة لها بالدراجات. كان صبيٌّ يتحدّث إلى أندي بجديَّة، ومن الواضح أنّه كان يواجه صعوبة في المنزل. تحدّث عن والده الذي غادر المنزل، واستطاع نِك أن يلمسَ ألمًا في صوته.

ووجد نِك نفسه منجذبًا إلى المحادثة، إذ تفهّم عذابَ الصّبي. كان الصَبيُّ يبكي وهو يتكلّم، وعرف نِك بالضّبط ما هو شعوره، وتأثّر جدًّا عند سماع ردّ أندي اللّطيف. يا ترى كيف كانت حالُه ستكون لو كان لديه شخصٌ مثل أندي للتحدُّث معه بعد مغادرة والدته؟

وفي طريق العودة إلى المنزل، كان لدى نِك الكثير ليتأمَّلَ فيه. لقد أيقظت قصّةُ هذا الصَبيّ المشاعر والذكريات، وأثارت تعليقاتُ أندي المدروسة والمُحِبّة فضولَه. وفكّر في نفسه:

"لستُ متأكّدًا ماذا ينبغي أن أفعل بكلّ هذا، ولكن ثمّة شيء واحد مؤكّد، وهو أنَّ أندي هذا يختلف عن كلّ المتديّنين الغريبي الأطوار الذين قابلتهم في حياتي!

الفصل الخامس

غمرَت هواءَ الصّباح برودةٌ عندَ انطلاق نِك لتسليم البريد في اليوم التّالي. كانت أوراقُ الأشجار تتأهّب للتساقط، والأيامُ مُنعِشة، والطقس جميل. جرت أحداثٌ كثيرة في الأيّام القليلة الماضية، وقد ثمّن نِك تلك الفرصة للاستغراق في التفكير. وتساءَلَ ما إذا كان أندي قد علم متى ستُسلّم حدائدُ مكابح دراجته، ولكنَّ المتجر كان مزدحمًا عندما سلّم نِك البريد، ولذا لم يسأله عنها حينها. وبقي يتساءَلُ عمَّن دفعَ إيجاره. قال أندي إنّه يذهب إلى كنيسة في الشّارع الخامس، لكن لم يكن ذلك دليلًا كافيًا. ويسلّم نِك عادةً البريدَ في تلك المنطقة، لكنّه لم يستطع تذكّرَ رؤية كنيسة هناك.

في ذلك المساء، بعد عودته من العمل، توقّف عند متجر أندي للدرّاجات. وعند سماع الكلام الدّائر في الخلف، مشى باتجاه منطقة البيع في المتجر، وكانت أمٌّ وابنُها الصَّغير يهمّان بالمغادرة.

"لست أدري كيف أشكرك! هذا يعني الكثير بالنّسبةِ إلينا

الآن!" واختفى صوتُها فيما دفع الصبيُّ المتحمّس درّاجته الجديدة نحو الباب.

قال أندي مبتسمًا للصَبيّ: "اعتنِ بها جيدًا، وسوفَ تخدُمُك لفترة طويلة. وإذا أردتَ خفض المقعد فعرّج على المتجر. ليس تعديلُه صعبًا."

غادر الاثنان المتجر، لكنَّ تعليقَ المرأة العاطفيّ أثار فضولَ نِك. لا يشتري النّاسُ عادةً منتجًا ثمَّ يشكرون البائع ودموعُهم تنهمر.

"هل يشكرُكَ جميع عملائك على السّماح لهم بشراء دراجات من متجرك؟"

رفع أندي الجالس عند مكتبه ناظريه وابتسم وقال: "كانت لطيفة للغاية، أليس كذلك؟" ثمّ في تغييرٍ مفاجئٍ للموضوع، قال: "تلقّيتُ للتوّ رسالةً في البريد الإلكتروني تفيد بأنَّ الحدائد يُفترض أن تصل بحلولِ نهاية الأسبوع. هل تعمل دراجتي جيدًا في هذه الأثناء؟"

"إنها تعمل بشكلٍ رائع." كان الفضول لا يزال ينتاب نِك حيال هذه المرأة، وكان متأكدًا تمامًا من أنّه لم يكتشف القصّة الكاملة. ولكن شعر أيضًا بوضوح بأنّه لن يحصل على مزيد من المعلومات من أندي.

"شكرًا على المعلومات الجديدة حول المكابح." استدار نِك ليغادر، فظهرت أمام عينيه تلك اللّافتة السّخيفة عينها. كلّما جاءَ إلى المتجر كانت تلك اللّافتة تزعجه، وعندما يحاول النّوم، كانت تبرز أمام عينيه. أرادَ شيءٌ ما في داخله أن يفضحَ سخافة الرّسالة، لكنّه تراجع لسببين: أوّلاً، كان لا يزال يشعر بالحرج قليلاً بشأن الطريقة التي تصرّف بها في المرّة الأولى التي تحدّث فيها إلى أندي حول هذا الأمر. بالإضافة إلى ذلك، كان أيضًا مدهوشًا من مدى عدم تأثّر أندي بقوّة حججه المقنعة. فسوفَ يضطرُّ نِك إلى تغيير موقفه قبل شنّ هجوم آخر. ففي النّهاية، كان صاحبُ المتجر لائقًا للغاية.

"أندي، في المرّة الأولى التي دخلتُ فيها، صرختُ في وجهِكَ ولم أكن محترَمًا، فأنا آسف. أظنّ أنّني كنتُ تحت ضغطٍ كبير لدرجة أنَّ كلَّ شيءٍ خرج منّي بشكلٍ خاطئ."

رفع أندي الجالس إلى مكتبه عينَيه مبتسمًا، وقال: "لا تشعر بالسُّوء يا نِك. أنا سعيد لأنّك شعرت بالراحة لمشاركة معاناتك. لدينا جميعًا صعوبات، وقد قلتُ أشياءَ كثيرة ندمتُ عليها لاحقًا. فلا أظنُّ أنّك قصدتَ حقًّا كلَّ ما قلتَه على أيّ حال، وعلى الأقلّ ليس عندما أخذتَ وقتًا للتفكير في الأمور بشكلٍ منطقيّ."

عاد أندي بناظريه إلى مكتبه، لكنَّ نِك كان يخشى أنَّه أُسيء فهمه.

"دعني أوضِّح لكَ الأمر. أنا لا أقول إنّني لم أعد أصدّق ما قلتُه عن وجود الله، لكن كان عليّ أن أشرح رأيي من دون أن أصرخ. ما زلت لا أومن بوجود إلهٍ صالح، وأعتقد أنَّ هذا واضحٌ لمعظم الأشخاص الذين يفكّرون بمنطق."

سار أندي بهدوءٍ عبر المتجر ليأخذ ورقة قبل العودة إلى مكتبه، ثمّ ردَّ: "ما من مشكلةٍ يا نِك، ولا مشاعر ضغينة، ولكن الآن بعد أن هدأتَ، لمَ لا تشرح لماذا لا تؤمن بوجود إلهٍ صالح؟"

وقف نِك يشاهد أندي وهو يعمل. هل كان هذا الرّجل مستعدًّا حقًا لمناقشةٍ فكريّة؟ ألم تُكشَف لهُ الحقيقة من قبل؟ هل غُسِل دماغه عندما كان طفلاً ولم يدرس قطّ عن التطوُّر والعلم ووزن الأدلّة العلميّة ضدّ وجود إلهٍ حقيقيّ؟ ربّما لم يكن على علم بأنَّ الأشخاص الوحيدين الذين ما زالوا يؤمنون بالأساطير الدينيّة هم الحمقى الذين يرفضون مواجهة الواقع.

"طبعًا يا أندي، لا أمانع شرحَ سبب عدم إيماني بوجود إله. أوّلاً، إنّني أهتمُّ فقط بالحقائق، ولا أصنع كائنًا خياليًّا لتلبيةِ بعض الاحتياجات الدّاخلية. حبّذا لو أكتشفُ أنَّ هناكَ إلهًا يحبُّني، فمن منّا لا يودّ ذلك؟ لقد اختلقتْ كلُّ الثقافات آلهةً خياليَّة لتلبية تلك الرّغبة الدَّاخليّة. لكنَّ حقيقةَ أنَّ جميعَ الأديان تناقض بعضُها بعضًا تُظهِر أنَّ الدِّين يأتي من النّاس وليس من ملاحظة الحقائق. من المؤكّد أنّك لاحظت ذلك يا أندي."

وبعد وقفةٍ قصيرة، أجابه صاحبُ المتجر الذي كان لا يزال يعمل على مكتبه قائلاً: "إذًا إنَّ نقطتَكَ الأولى هي أنَّ الاختلافات بين الأديان تثبت أنَّ الله نتاجُ خيال الإنسان. وماذا أيضًا؟"

"ثانيًا، حتى لو كان هناك إلهٌ كلّيُّ القدرة كما يصرُّ المسيحيّون، فإنّه لا يمكن أن يكون صالحًا. انظر إلى المعاناة في العالم. فكّرْ في الموضوع يا أندي، إذا كنتَ قادرًا على إيقاف كلّ الألم في هذا العالم على الفور، ألن تفعل ذلك؟ بالتأكيد سوفَ تفعل! تجتمعون صباح الأحد للصَّلاة إلى الله، وماذا تطلبون؟ تطلبون منه التدخل في حياة النّاس، أليس كذلك؟ شخصٌ مريض، وآخر فقد وظيفته، وزوجٌ ما هرب مع امرأةٍ أخرى. تسبّبُ جميعُ هذه الأشياء الألم، وتودّون أن تروا هذه المعاناة تتوقف. أليس كذلك؟"

بالتأكيد كان أندي يستمع إليه، لكن بما أنّه لم يردّ، تابع نِك: "ومع ذلك، أنتَ تقول أيضًا إنَّ هذا الإله يعرف كلَّ شيءٍ بالفعل ويسيطرُ على كلِّ شيء بالتمام. يمكنه أن يشفي المرضى ويحل جميع قضايا التوظيف ويوفّقَ بين جميع العلاقات المتضرّرة. لكنّه لا يفعل ذلك! أتريدني أن أومن بإلهٍ كهذا؟ حتى لو كان ثمّة إله، فمن الواضح أنّه لا يحبُّ النّاس بقدر ما تحبُّهم مجموعتك الصّغيرة. على الأقلّ أنتم ترغبون في تخفيف المعاناة."

مجدَّدًا، توقف نِك هنيهة بانتظار الرَدّ قبل أن يستكمل هجومه. "ربّما لم تفكّر في كلّ هذا، وأتفهَّمُ ذلك. تذكَّرْ أنّني نشأتُ في منزلٍ مسيحيٍّ ولم أستطع رؤية الحقيقة إلا بعد أن أفلتُّ من غسيل دماغ أمّي. أنا متأكّد من أنَّ والدَيْك قد غسلا دماغك أيضًا، وربّما لم تختبر الألمَ الذي يعانيه الآخرون. أستطيع تقبُّل ذلك، فلم نمرَّ جميعًا بالتجارب نفسها. من الممكن أن تكبر في بيئةٍ لطيفةٍ ودافئة وتتوصَّل إلى جميع أنواع الاستنتاجات حول أنَّ ثمَّة يسوع ما يحبُّك. لكنّك لم تعد طفلاً، وحان الوقت لإلقاء نظرة على بعض حقائق الحياة الصَّعبة يا أندي." ثمَّ أردف مشيرًا إلى اللّافتة: "بخاصّة قبل تعليق العبارات المبتذلة حول كون الله صالحًا."

لم يجِب أندي بشَيءٍ للحظة، وألقى نظرَةً على ساعته وبدأ بوضع الأوراق جانبًا، ثمّ قال: "أشكرك على مشاركتي أفكارك يا نِك. أقدّر انفتاحك وأودّ الاستماع إلى المزيد، لكنّني أخبرتُ زوجتي أنّني سأكون في الطابق العلوي في أقرب وقتٍ ممكن. لديَّ فكرة، ما رأيك بأن نجتمع مساءَ غدٍ ونتناول البيتزا؟ أتوقّع أنَّ مزيدًا من الأفكار تدور في ذهنك، وربّما ترغب أيضًا في الاستماع إلى القليل من قصَّتي." ثمَّ خَلصَ صاحبُ المتجر مبتسمًا وقائلاً:"وقد أشرح لك حتّى سبب وجود هذه اللّافتة هناك."

الفصل السادس

أخذ نِك وجبةَ عشاءٍ مثلّجة وألقاها في الفرن، ثمَّ استحمَّ. وراح يفكّر ما عساه يكون العشاء الذي يتناوله أندي فيما غمس شوكته في طبَق الباستا الذي لا طعم له. عندما كان يهمّ بمغادرة متجر الدرّاجات، جاءَت سيّدة تحمل طبقًا تفوح منه رائحة لذيذة. توقّف نِك عن المضغ محدّقًا في الفضاء؛ فقد صادف عدّة مرّات أشخاصًا يجلبون الطعام إلى متجر أندي. ما قصّة كلّ ذلك الطعام؟

ابتسم نِك، وفكّر في وجودِ لغزٍ آخر في حياة صاحب المتجر الغريب.

في اللّيلة التالية كان نِك متوترًا بعض الشَّيء عند وصوله إلى مطعم بيتزا ماريو. كان تفاعله الوحيد مع أندي في متجر الدراجات، لذا بدا الاجتماعُ في هذا المكان غريبًا. ابتسم مع شيءٍ من الامتعاض إذ لم يكن تناولُ العشاء مع فعلة الخير المتديّنين شيئًا يمارسُه بانتظام. ولكنّه كان فضوليًّا حول ماضي أندي وتساءَل لماذا اختار الإيمانَ بشيءٍ رفضه المجتمع، أو على

الأقلّ الجزءُ المفكِّر منه؟ ربّما كان أبواه متديّنَين لطيفين ولم يشأ أن يخيب ظنُّهُما.

وصل أندي متأخّرًا بضع دقائق، وجلسا إلى طاولة في الزاوية. افترض نِك أنَّ أندي سيكون مستعدًّا لمناقشة فكرة ما من اللّيلة السّابقة، لكنه لم يبدُ في عجلة من أمره. بدلاً من ذلك سأله كيف كان يومُه، وسأله عن شعوره حيال رحيل جيسيكا، وكيف يسير عمله. لم يكن نِك متأكّدًا من كيفيّة حدوث ذلك، لكنّ أسئلة أندي التي نزعت دفاعاتِهِ قادته إلى الانفتاح والمشاركة بشأن وحدته وغضبه. لقد فوجئ قليلاً من مدى الرّاحة التي كان يتحدّث بها إلى أندي، وعندما وصلت البيتزا أدرك فجأة أنَّ أندي لم يكشف شيئًا عن حياته.

مدَّ نِك يده ليتناول قطعة البيتزا الثانية وقال: "إذًا يا أندي، أنت تسأل باستمرار عن حياتي، ولكن ماذا عن حياتك؟ ما زلتَ تؤمن بوجود إلهٍ على الرّغم من أنَّ بقيّة العالم قد تجاوزوا هذه الأساطير. لماذا تصرّ على تجاهل الدّلائل العلميّة؟ هل كان لديك والدان مقنعان أو مدرّسٌ متميّزٌ في مدرسة الأحد؟"

ضحك أندي وهو يمسح فمَه وردّ: "لا يا نِك. في الحقيقة، لم أذهب إلى مدرسة الأحد قطّ ولا حتّى إلى الكنيسة إلى أن أصبحتُ في عمرك تقريبًا."

"لا أصدّق يا أندي، ولا حتى في عيد الفصح أو عيد الميلاد؟"

"لا، لكن ربّما يجب أن أبدأ أنطلق من البداية. لقد نشأتُ في منزل حيث كان الدِّين يُسخَرُ منه ويُنظر إليه على أنّه دعامة لأولئك غير القادرين على التفكير المنطقيّ. في الواقع، لو أغمضتُ عينيَّ ليلةَ أمس عندما أعربتَ عن شكوكك، لظننتُ أنّني عدتُ إلى المنزل مستمعًا إلى والدِي يتكلّم. كان يكره الدِّين وبخاصة المسيحيَّة. وبقدر ما أتذكر، تعلّمتُ المذاهب الداروينيّة والطبيعيّة والإنسانيّة. أراد والدي أن أنموَ من دون أن أتعرّضَ لتأثير التعاليم الدينيّة، وقد نجحَ في معظم الأحيان."

"لكن هذا مستحيل! كيف يمكن لأيّ شخص أن يؤمن بالله من دون أن يملي عليه أحدٌ هذه الأيديولوجيَّة؟"

مسح أندي يديه وتابع: "دعني أكمل. إنَّ جميعَ الأشخاص الذين أثّروا في حياتي - أساتذتي وأصدقائي ووالداي بالطبع - كانوا ضدّ الدِّين، وكانوا يستهزئون جميعًا من مفهوم الله. لقد تعلّمتُ أن أحبَّ العِلم، وعلاوة على ذلك، تعلّمتُ أنَّ جميع الإجابات يمكن العثورُ عليها في العِلم الذي يعتمد على ما هو ملموس بدلاً من الدّيانات السَّخيفة التي تركّز على الغيب. ومع ذلك، للمفارقة، واجهتُ شكوكي الأولى في فصل العلوم. كان معلّمي في الصَفّ الثامن يتحدّث عن توسّع الكون. كان يشرح

مرّةً أخرى كيف بدأ كلّ شيء مع الانفجار العظيم. تخيّلتُ في ذهني هذا الانفجار الذي لا يمكن فهمُه، وبعد ذلك، ربّما لأنني نشأت على التساؤُل عن كلّ شيء، بدأتُ أفكّر في السَّبب. بعبارة أخرى، ظللنا نركّز على ما حدث بعد هذا الانفجار الضَّخم، لكنّني أردت أن أعرف ما الذي دفع القوى معًا حتى أنتجَته؟"

ضحك أندي قبل المتابعة. "كلّما فكّرتُ في الأمر، بدا هذا الانفجار العظيم الذي يحدث بدون سبب سخيفًا. تساءَلتُ عمّا سيحدث إذا حدث فجأة انفجارٌ كبيرٌ في الخارج. كانت نوافذ الصفّ ستهتز والأشياء ستطير وسيمتلئ الهواء بالدّخان. وحاولتُ أن أتخيّل كيف سيردّ أستاذي إذا أخبرته أنّه لا يوجد سبب لهذا الانفجار، وأنّه حدث وحسب. لم يكن ليصدّقني، ولو أصرّيت على موقفي، لكان جعلني أرسب بسبب المنطق الضّعيف. لا تحدثُ الانفجارات من دون أن يتسبّبَ بها شيءٌ ما. يعرف الجميعُ ذلك، ولكن ها نحن في الصَفِّ حيث يخبروننا أنَّ هذا الانفجار الضَّخم حدث منذ مليارات السِّنين، لكن ما من محرّكٍ وراءَه. لم يكن هناك سبب؛ فقد حصل وحسب!"

"لكن يا أندي، إنّ الكون يتوسّع والتّفسير الوحيد الذي يمكن تصوّرُه هو أنّه حصل انفجارٌ كبير."

"تذكّر يا نِك أنّني فقط أشاركك قصَّتي، فدعني أكمل. الشّيء

التالي الذي كان عليَّ التعامل معه هو الدقّة والنّظام اللّذين نتجا عن هذا الانفجار."

أمال أندي رأسَه إلى خلف وضحك. "هل سبق لكَ أن شاهدتَ شيئًا ما ينفجر؟ وأعني انفجارًا ضخمًا. وهل سبق لكَ أن رأيتَ شيئًا منظّمًا أو دقيقًا ينتج عن ذلك؟ ولو مرّة واحدة؟" هزَّ نِك رأسه وأجاب: "لا، ولكنّ العلم لا يقول إنَّ الكون قد رُتِّب على الفور كما نعرفه!"

"أنت على حَقّ. قيل لنا إنَّ الأمر استغرق مليارات السّنين حتى تطوّرت الأشياء وتحسَّنت تدريجيًّا. لكن بالنّسبة إليَّ عندما كنت شابًّا، جعلَ هذا القولُ النَّظريّةَ أكثر عبثيّة. هل تَرى الأشياء تتحسَّنُ مع مرور الوقت في عالمنا الطبيعي؟ إنَّ كلّ شيء ننتجُه أو نطوّره يبدأ فورًا بالتدهور ما لم يقم شخصٌ ما بصيانته بشكل دؤوب."

أجاب نِك متأمّلاً: "هل تقصد بكلامك قانون الدّيناميكا الحراريَّة الثاني؟"

"بالضّبط، وهذا ما أربكني. فمن ناحية، تعلمتُ أنَّ الأشياء تطوّرت واستمرّت في التحسُّن مع مرور الوقت، وأنَّ هذه العمليَّة التَطوريَّة قويةٌ جدًّا لدرجة أنّها يمكن أن تأخذ فوضى الانفجار وتخلق منها كونًا جميلاً ومعقّدًا. كلّ ما عليك أن تفعلَه هو منحُها

ما يكفي من الوقت." بسَطَ أندي يديه وتابع: "لكن من ناحيةٍ أخرى، قيل لنا عكس ذلك. كان من المفترض أيضًا أن نصدّق أنَّ كلَّ شيء يتدهور مع مرور الوقت. لذلك مع مرور المزيد من الوقت وخضوع الأرض لقانون الإنتروبيا هذا، تزداد الأمور سوءًا. هل تستطيع أن ترى لماذا كنتُ في حيرةٍ من أمري؟ والأسوأ من ذلك، كان أساتذتي يعلّمونني أن أصدّق فقط ما يمكن ملاحظته وإثباته. أمكنني مراقبة قانون الإنتروبيا لأنّه كان من حولي، وأمكنني أيضًا أن أرى تطوّرًا صغيرًا، مثل الفيروسات التي تتكيّف لمقاومة المضادّات الحيويَّة. لكنّني لم أستطع رؤية أمثلة على التطوُّر الكبير، إذ لم أتمكن من العثور على أيّ حالات موثوقة تابعة لمخلوقات تتغيّر من نوعٍ أو صنفٍ إلى آخر."

لقد نسيا البيتزا، وعندما أحضرت النّادلة الفاتورة أدركا فجأة مرور الوقت.

"قبل أن نذهب يا نِك، دعني أشاركك قضيَّةً أخرى تعاملتُ معها عندما كنت شابًّا. تخيّل أنّك تعيش في منزل فيه العديد من الغرف. كطفل، يمكنُك التجوّل في المنزل بحريّة ويُسمح لك باللّعب في أي غرفة، باستثناء واحدة في آخر الممشى يمنعك والداك من دخولها. يمكنك الذّهابُ إلى أي غرفة أخرى وفعلُ ما يحلو لك، لكن لا يُسمَح لكَ أن تفتح هذا الباب في نهاية الممشى على الإطلاق. ما الذي ستُغرى لأن تفعله في النّهاية؟"

"سأكون فضوليًّا للغاية حول ماذا يكمُن وراء ذلك الباب!"

"بالضّبط! بالنّسبة إليّ، كان الدِّينُ ذلك البابَ. كان والداي متحمّسَيْن لرؤيتي أستكشف العلوم التطوريَّة والطبيعيّة والإنسانيّة والفلسفة وكلّ ما شابه. لم يكن مهمًّا مدى سخافة النَظريَّة؛ فقد نظرا إلى دراسة كلّ هذه الأمور على أنّها جزءٌ من تحصيل تعليم شامل. لكنّهما كانا مصرَّين على أن أبتعد عن الدِّين مهما كان نوعه."

"إذًا لجأتَ إلى الدِّين بدافع الفضول؟"

ضحك أندي. "ربّما كان جزءًا ممّا دفعني لأفتح ذلك الباب أخيرًا وأختلس النَّظر إلى تلك الغرفة. لكن من المفارقة أنَّ تعليمَ والدَيَّ هو الذي دفعني للمضيِّ قدمًا ومواصلة التحقيق في الموضوع. لقد شجّعاني منذ البداية على بناء أفكاري بنفسي وطرح الأسئلة الصَّعبَة. وقالا لي "استمرّ في البحث حتى تجد الحقيقة." من المؤكّد أنهما لم يكونا سعيدَين بالمكان الذي أخذني إليه هذا البحث في النّهاية. لكنّني لم أحصل على إجاباتٍ مرضيةٍ عن أسئلتي حول أصول الكون. وعندما استمعتُ إلى أساتذتي وأهلي، لاحظتُ وجود فجوات كبيرة في مَنطقهم. فإنّ ملايين أو حتى بلايين السّنين لا تجيب عن العديد من الأسئلة الصَّعبة المتعلّقة بالبدايات، ولا حتى حقيقة أنَّ الجميع كانوا يردّدون كالببّغاء الاستنتاجات غير المنطقيَّة التي تعلّموها. قال

لي والداي ألّا أفترض البتّة أنَّ الحقيقة كانت مع الأغلبيَّة. لذلك أجبرني عدمُ العثور على إجاباتٍ قويَّة في النّهاية على البحث في مكان آخر. وفي النّهاية كان عليَّ أن أسترقَ النَّظر خلف ذلك الباب."

جلس نِك في صمت وذهول. لم يكن يتوقّع هذا، إذ كان على يقين بأنَّ أندي تعرّض لغسيل دماغ عندما كان طفلاً. كان ليراهن بأيّ مبلغ من المال على ذلك. وكان يودّ طرح الكثير من الأسئلة، لكنّه لم يكن سعيدًا بما وصلت إليه المناقشة.

"يمكنني أن أفهم فضولَكَ يا أندي، لكن مجرّد أنّك وجدتَ ثغراتٍ في نظريَّة التطوّر لا يثبت أنَّ ثمّة إلهًا. ربّما سيكتشف العلمُ في النّهاية سببَ الانفجار العظيم."

"أنت على حَقّ. فقط لأنّك تستطيع إيجاد ثغرات في نظريّة شخص آخر لا يعني أنَّ نظريَّتَكَ منطقيَّة أو صحيحة." نظر إلى ساعته وقال: "يجب أن أذهب، لكن دعنا نجتمع ونتحادث أكثر."

نهض أندي عن الطاولة، وترك بقشيشًا، ورمق نِك بابتسامةٍ شقيّة. "من يدري، فقد نتمكّن في النّهاية من معرفة سبب وجود تلك اللّافتة المعلّقة على حائط متجري التي تكرهُها أنتَ!"

الفصل السابع

شعر نِك بالارتباك إذ راح يتفكّر في المناقشة التي أجراها مع أندي في اللّيلة السّابقة. هل يمكن أن يكون الله سببَ وجود الكون؟ قام بإغلاق سحّابِ معطفِهِ ليقيَه نسيم الخريف وحاول تجاهل الفكرة المزعجة. ولكن هل من الممكن تفسيرُ الطريقة المفصّلة والمنظّمة التي تعمل بها الطبيعة بشكلٍ منطقيّ من خلال الانفجار الكبير والانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح؟ ثمَّ فكّر في الطريقة التي استخلص بها أندي استنتاجاته. لقد توصّل إلى الإيمان بالله كخالقٍ من خلال مراقبة الحقائق بعنايةٍ وتحدٍّ للأفكار السّائدة.

ثمَّ حين تأمّلَ في التغييرات الثّابتة التي يُحدثُها موسم الخريف، أدرك نِك كيف يمكن للمرء أن يستنتج وجود مُصمِّم. واستذكر شكوكَه في أيّام شبابه حول كيفيَّة تطوُّر أشياء معقّدة بشكل لا يصدَّق مثل العين البشَريَّة. لكنَّ شيئًا ما في داخله لا يزال يرفض الاعتقاد بأنَّ هذا المصمِّم صالح بطبيعته. لقد رأى الكثير من الألم والمعاناة الإنسانيَّة في الحياة لدرجة أنه لم يتقبَّل ذلك قطّ.

وإذ كان مستغرقًا في أفكاره، لاحظ فجأةً دراجةً تتّجه نحوه. فما إن نزل عن الرّصيف ليفسح لها في المجال للمرور حتى تمكّن من التعرّف على الصَبيّ الذي اشترى الدَرّاجة من متجر أندي.

"مرحبًا، هل أعجبتك درّاجتُكَ الجديدة؟"

توقّفَ الصَبيّ واستدار ثمَّ ابتسم له وأجاب: "إنها رائعة! لقد رأيتُكَ في متجر الدراجات."

وإذ كان الفضول قد انتاب نِك بشأن قصّةِ الصَبيّ، سأله: "هل كنت ترغب في شراء الدراجة منذ فترة من الوقت؟"

"أجل، لكنَّ أمّي لا تملك الكثير من المال. إنّها قصّة يطول شرحُها." خفض الصَبيُّ ناظريه، وهو يحفُّ بحذائه على الرّصيف.

"غادر والدي المنزل منذ فترة. لقد هرب مع امرأةٍ أخرى، وكان على أمّي الخروج وتنظيف المنازل وما شابه لتسديد الفواتير. وأرادت أن أمتلكَ درّاجة حتى أتمكن من توصيل الصُّحُف والمساعدة في كسب بعض المال. قالت إنَّه علينا جميعًا أن نعمل لتغطية نفقاتنا. كنت على استعداد للعمل، لكنّنا لم نتمكن من شراء درّاجة. وبطريقةٍ ما علمَ السيّد أندي بذلك على ما أظنّ، فأعطاني هذه الدَرّاجة. إنّه يذهب إلى تلك الكنيسة في الشّارع الخامس. هل ترتادُها أنتَ؟"

هزَّ نِك رأسَه بالنَّفي، فأكمل الصَبيُّ حديثه: "نحن أيضًا لا نرتادها، لكنَّهم لطيفون حقًّا. تقول أمّي إنّها لا تعرف كيف كنّا سنعيش بدونهم. يجلبون لنا الطعام والأشياء الأخرى التي نحتاجها، حتى إنهم أحضروا لنا بعض الملابس. حسنًا، عليَّ الذّهاب لأنّ والدتي تنتظرني. إلى اللّقاء!"

يداه على خصره، راقب نِك الصَبيَّ وهو يسير بدراجته على الرّصيف. كان يدرك أنَّ أندي كريمٌ بشكل غير عاديّ، وكان يعلم أنَّ هناكَ رجلاً كريمًا آخرَ دفع إيجاره، لكن أيوجد مجموعة كاملة من أمثال أندي؟ من هم هؤلاء النّاس؟ هزَّ نِك رأسه واستكمل طريقه لتوزيع البريد.

وقصد نِك مساءَ السّبت مشغلَ أندي. أراد أندي البقاء قريبًا من المنزل في حال احتاجت زوجته إلى أي شيء، لذلك جلب طعامًا صينيًّا ودعا نِك إلى تناول الطعام معه. لم يقابل نِك زوجة أندي قطّ، وفي الواقع، كان لا يزال يعرف القليل عن حياة أندي الشَّخصيَّة ما عدا الذي أخبره إيّاه في مطعم البيتزا. فبينما جلس الرّجُلان حول طاولة العمل لتناول الطعام، انبرى نِك محاولاً كشف المزيد عن لغز صاحب المتجر هذا.

"في اللّيلة الماضية شرحتَ بإيجاز لماذا قرّرتَ فتحَ باب الدِّين هذا واختِلاس النَّظر. كما تعلم، لستُ مقتنعًا بأنَّ هناكَ

دليلاً يُثبت وجودَ إله. لكنَّ قصّتك أثارت فضولي، وثمّة سؤالان محدّدان كنتُ أتأمّلُهُما. أوّلاً، كيف قررتَ أنَّ الله، إن وُجِد، هو صالح؟ بمعنى آخر، إذا كان الله موجودًا، فكيف يمكنه أن يكون صالحًا بينما يسمح بالألم والمعاناة؟ وثانيًا، من بين جميع الأديان الموجودة، لماذا اخترتَ المسيحيَّة؟ وكيف تعرف أنَّ المسيحيَّة المرتبطة بالكتاب المقدَّس صحيحة؟

"هذه أسئلة محقّة يا نِك، ولكن دعني أبدأ بسؤالك الثاني: لماذا المسيحيَّة، وكيف أعرف أنَّ الكتاب المقدَّس صحيح؟"

وضع أندي طعامه على الطاولة واتّكأ على الحائط وتابع: "بالنّسبة إلى المرء الذي لم يحاول قطّ فتحَ باب الدِّين، قد تكون تلك النَّظرة الخاطفة الأولى مخيفة! كان من الصَّعب عليَّ معرفة من أين أبدأ، لذلك حاولتُ أن أعطيَ الدِّراسةَ الواجبة لكلِّ دينٍ. ولكن ثمَّةَ شيءٌ واحدٌ يجب أن أكون واضحًا بشأنه قبل أن نذهب إلى أبعد من ذلك يا نِك: ما زلتُ لا أستطيع إثبات وجود الله."

بدا نِك مدهوشًا وقال: "لكنّني ظننتُ أنَّ هذا ما ستفعله."

"لا. يمكنُني فقط مشاركة تجربتي والأدلة التي عاينتُها ولماذا اخترتُ أن أؤمن بيسوع المسيح. دعني أسألك، هل يمكنُكَ إثبات أنَّ جورج واشنطن عاش بالفعل؟ هل يمكنك إثبات أنَّ

القصص التي نقرأها، أو الصُّوَر الشَّهيرة، أو حتى منزلَه في ماونت فيرنون ليست كلّها مزوّرة؟"

"لا، لا يمكنُني إثباتُ ذلك، لكنّ الأدلَّةَ كثيرة. ما مِن شكٍّ في أنّه عاش!"

"أوافقك الرأي، ومع ذلك لا يمكنُك إثبات ذلك. لقد أخذتَ الحقائق المتوافرة وفكّرتَ فيها واخترتَ تصديقها. هذا هو بالضَّبط موقفي تجاه يسوع المسيح. لا أستطيع إثبات أنّه عاش أو مات أو قام إلى الحياة من جديد، ولا أستطيع حتى إثبات أنّه كان موجودًا على الإطلاق. لكنّني راجعتُ الحقائق المتاحة، ولاحظتُ تأثيره على حياتي وحياة الآخرين، وأومن من دون تحفُّظ أنَّ ما قاله عن نفسه صحيح. لكن تذكَّرْ، لا يمكنُني إثبات ذلك."

"وكيف وصلتَ إلى هذا الاستنتاج؟ ولماذا اخترتَ المسيحيّة على كلّ الأديان الأخرى؟"

"لقد بدأتُ بفرضيّة واحدة. نحن نعيش إلى حدٍّ كبير في عالمٍ من المنطق والقدرة على التوقّع؛ إذا زرعتَ الذُرَة فلن تحصد الطماطم. لذلك بدأتُ بحثي مؤمِنًا بأنَّ المصمّم العظيم، أيًّا كان، لا بدَّ من أنَّ لديه هدفًا. فهناك شيءٌ ما وراء كلِّ هذا التّعقيد. أتفهمني؟"

"كلّي أذانٌ صاغية". حاول نِك إبقاء لغة جسده عاديّة لإخفاء انزعاجه المتزايد.

"أنتَ تذكُر دائمًا معاناة الإنسان، وقد صارعتُ أنا أيضًا مع هذا الموضوع. لطالما تعامل البشر مع المعاناة، ولكلِّ دينٍ رأيُه الخاصّ في ذلك. يقول المذهب الطبيعيّ الذي تعلّمتُه عندما كنتُ طفلاً إنَّ كلَّ شيء مجرّد صدفة. المعاناة هي سوءُ حظ، وليس لها معنى. وتشير الدّيانات الشرقيَّة إلى أنَّ المعاناة مجرّد وهم، لذا فإنَّ أفضل ما يمكنُنا فعلُه هو إيجاد طرُق لتجاهلها. تحدُث لنا أشياء سيّئة بسبب "الكارما" السيّئة المتراكمة من الحياة الماضية، لذلك نحن في النّهاية مسؤولون عن الألم الذي نختبره. فما مِن تعزيةٍ كبيرةٍ في ذلك. وتُعلّم البوذيَّة أنَّ أسمى حالة يمكن أن يصل إليها الإنسان هي النيرفانا، وهو مكان لا يوجد فيه معاناة ولا فرح. ليس سيّئًا، ولكن ليس جيّدًا أيضًا. بدا ذلك سخيفًا. تخيّل أنَّ إلهًا هادفًا صمّم كونًا سيّئًا للغاية بحيث إنَّ أفضل ما يمكن للمرء فعله هو الهروب منه!"

هزَّ نِك كتفيه ونظر إلى أرضيَّة المتجر ثمَّ أجابه: "لست أدري، ربّما كان بوذا على شيء من الحقّ. ففي بعض الأحيان يبدو الوصول إلى العدم أمرًا جيّدًا، ولكن أكمِل حديثك."

"يعلّمُ الإسلام أنَّ كلَّ شيء، بما في ذلك الألم والمعاناة،

سبّبَه الله. إنّه المصدر المطلق لكلّ ما نعرفه، وهو كلّيُّ الحكمة، وبكلّ بساطة ما علينا سوى الخضوع لإرادته. لكن ليس هذا تفسيرًا كافيًا."

توقفَ أندي لجمع أفكاره وتابع: "باختصار، وجدتُ أنَّ محاولات جميع هذه الأديان لشرح سبب وجود المعاناة غيرُ كافية على الإطلاق، وبدا الله في كلِّ واحدةٍ منها بعيدًا ولا يتدخّل. لم يظهر فيها أيُّ تفسير منطقيّ أو فدائيّ للألم والمعاناة."

تناول أندي رشفةً من مشروب الصّودا قبل أن يتابع حديثه: "وجدتُ في المسيحيَّة شيئًا مختلفًا تمامًا. لا يتجاهل إلهُ الكتاب المقدّس معاناتنا، بل على العكس تمامًا، ولا يعترف بالألم والمعاناة فحسب، بل يدخل أيضًا فيهما بنفسه. كان ذلك أمرًا صادمًا! أتى يسوعُ ابنُ الله كإنسان وبكى مع أولئك الذين يتألّمون، وأظهر تعاطفًا مع المنبوذين من المجتمع، وسمَحَ أيضًا بأن يُضرَب ويُرفَض ويُصلَب. من الواضح أنّه أراد أن يختبر ما كانت خليقتُه تختبر على الأرض التي أفسدتها خطيّة الإنسان. بدا هذا أبعد ممّا يمكن لأيّ إنسان أن يحلم به، وهو أنَّ الله الذي هو عظيم بما يكفي لفعل ما يريد، يهتمّ بالألم البشريّ بعمقٍ لدرجة أنه ينخرط فيه بنفسه على مستوى الإنسان. هذا مذهل!" اشتعلت عينا أندي بالحماسة.

لم يسمع نِك مطلقًا شرحًا مشابهًا عن المسيحيَّة، وطرأ على ذهنه المزيدُ من الأسئلة، لكنّه لم يكن متأكّدًا من أين يبدأ. فجمع يديه على الطاولة ونظر إلى أندي وقال: "إنَّ طريقتَكَ في شرح إيمانك تضعه في ضوءٍ جديد. لكن لا يزال لديَّ بعض الأسئلة المهمّة."

أومأ أندي برأسه وردّ: "أنا أفهمك يا نِك، فحتى بعد كلّ هذه السَّنوات، ما زالت لديَّ أسئلة. لكنّ الكتابَ المقدَّس يؤكّد لنا هذا: في النّهاية سيُصلَح كلُّ شيء. سوفَ يُعاقَبُ الشَرُّ ويُكافأ الخير، وسوفَ نكتشف أنَّ ثمّة هدفًا لمعاناتنا، وأنَّ الله قصد في الواقع أن يُخرِج الخيرَ من الألم والمعاناة."

حدّقَ نِك في أندي وقال: "أتساءَل عمّا إذا كان بإمكانك قول كلّ ذلك إذا كنتَ تمرّ بكلِّ ما أمرُّ به أنا. لا أعتقد أنه يمكنك التمسُّك بهذا الرأي إذا كنتَ تعاني ألـمًا ومعاناةً حقيقيّين!"

"ربّما لا يا نِك، لكنّي أتمنّى أن تعودَ ليلة الغد. أُريد حقًّا أن تقابلَ زوجتي." نظر أندي إلى الحائط وأكمل: "وهذه اللّافتة كدتُ أنساها. ربّما يمكننا أخيرًا أن نصل إلى شرح سبب تعليقها هناك."

الفصل الثامن

وضع نِك البريد في متجر أندي وتوجَّه خارجًا وإذا بأندي يناديه قائلاً: "لا تنسَ أن تأتي اللّيلة. كُن هنا حوالى السّاعة السّادسة وتفضّل لتناول الطعام معنا."

ردَّ نِك بإيماءَةٍ وتلويح، وكان في الحقيقة يتطلّع إلى ذلك. لقد استمتع بمحادثاته مع أندي والأفكار التي أثارها، لكنَّ أندي كشف القليل عن عائلته. هل كانت زوجتُه متديّنة أيضًا؟ هل عندهما أطفال؟ لا بدَّ من أنَّ أندي يبلغُ من العمر أكثرَ من أربعين عامًا.

كان نِك أيضًا فضوليًّا بشأن هذه الكنيسة في الشّارع الخامس. لقد نظر بعناية، حتى إنّه كان يتفقّد سجلّ البريد، لكنّه لم يتمكّن من العثور على أيّ شيء. أملَ أن يحصلَ اللّيلة على بعض الإجابات.

وصل نِك في ذلك المساء ليجد صاحبَ المتجر يُنهي بعض المهامّ في اللّحظة الأخيرة. فتح أندي بابًا في الخلف ولوّح له

ليتبعه صعودًا على السّلالم. فوجئ نِك بسماع الموسيقى، وعند دخوله الشقّة الصّغيرة في الطابق العلوي، رأى مجموعة من ثمانية إلى عشرة شباب يقفون حول سريرٍ ويغنّون بحماسة وفرح. ومع انتهاء الأغنية، ودّع المغنّون المرأة في السَّرير، وأومأوا بالتحيَّة لأندي ونِك، واختفوا نزولاً على السَّلالم.

شاهدهم نِك يذهبون ثمَّ حوَّل انتباهه إلى المرأة العليلة. كان وجهُها نحيفًا ورماديَّ اللون تقريبًا، لكنَّ عينيها متألّقتان. مشى أندي صوب السّرير وقال: "تيريزا، هذا صديقي نِك. ويا نِك، أقدّم لك زوجتي وصديقتي المفضّلة، تيريزا."

قال نِك متلعثمًا: "مرحبا يا تيريزا، أنا مسرور بمقابلتك. لم أدرك أنَّ زوجة أندي مريضة. ما كان يجب أن أشغل أمسياتِه بعيدًا عنك."

ضحكت تيريزا بهدوء وقالت: "لم يكن أندي ليفوّتَ أوقاتَه معك من أجل أيّ شيء. يعود دائمًا بعد مقابلة النّاس ويعطيني تقريرًا كاملاً. فيساعدني ذلك في معرفة كيف أصلّي من أجل النّاس في الجماعة. يا نِك، كنتُ أصلّي من أجلك. لقد تعاملتُ مع المعاناة الجسديّة لسنوات عديدة، لكنّني أعلم من التجربة أنَّ المعاناة الداخليّة التي تمرّ بها يمكن أن تكون أكثر حدّة."

لم يكن نِك متأكّدًا من كيفيَّة الرَدّ؛ فلطالما شعر بعدم الارتياح في وجود المرضى، ومن الواضح أنَّ هذه المرأة كانت مريضة للغاية.

توجَّه أندي إلى المطبخ وقال: "سوف أقوم بتسخين بعض الطعام فيما تتعارفان."

بعد أن لاحظَتْ تيريزا الانزعاج البادي على وجه نِك أكملتِ المحادثة: "قال أندي إنّه لم يخبركَ عن وضعي، لذلك ربّما صُدِمتَ لرؤية امرأة في سرير مستشفى."

ابتسم نِك قليلاً وأجاب: "أنتِ على حقّ. لم أكن أتوقّع ذلك."

تابعت تيريزا: "بينما يحضّر أندي بعض الطعام، اسمح لي بأن أشاركك قصَّتي. التقينا أنا وأندي في الكليَّة، وقد جئنا من خلفيَّتَين مماثلتَين. كان والداه متقدّمَين في مجال التعليم، ووالداي في الأعمال والثروة. تزوّجنا آملَين وحالمَين ببناء أسرة، وأردنا أن ننجبَ أطفالاً يشعرون بالحبِّ والرعاية، وربّما حتى أن نقيمَ في مكان لطيف في الرّيف حيث يمكن للأطفال التجوّل والاستمتاع بالهواء الطلق."

تحرّكت تيريزا في الفراش، وإذا بسَهمٍ من الألم يخرق وجهها للحظة. "أعتقد أنَّ أندي قد أخبركَ بالفعل عن رحلتنا

الروحيّة. كانت رحلتي مشابهةً جدًّا لرحلتِهِ، وبعد فترة وجيزة من التزامنا باتّباع يسوع شُخِّصَ مرضُ السَّرطان، وكان ذلك بمثابة ضربة هائلة. كانت عائلتنا قد أنكرتنا بحلول هذا الوقت، وشعرنا بالوحدة الشَّديدة والهجران. وبعد تلقّي علاج السَّرطان، قيل لي إنّني لن أتمكَّن من إنجاب الأطفال."

جاءَ أندي حاملاً صينيَّة طعام وابتسم لتيريزا وقال: "أرى أنّكِ لم تضيّعي أيَّ وقت. أيمكنُكِ التوقّف عن سرد قصَّتِكِ قليلاً لتناول الطعام؟"

سحب أندي كرسيَّين إلى جنب السَّرير، وأحنى هو وتيريزا رأسيهما بينما تلا صلاةَ شكر قصيرة. سبق أن فعل ذلك في المرّات الأخرى التي تناول فيها الطعام مع نِك، وعلى الرّغم من أنَّ نِك لم يكن معتادًا على هذه الممارسة، فقد لاحظ أنَّ الصَّلاة بدت طبيعيّة بالنّسبة إلى أندي.

بعد انتهاء الصَّلاة، قال نِك: آسف لجعلكَ تحضّر الطعام يا أندي. لم أكن أدري أنّك تجيد الطَّهو."

"لا أجيده! لكن لا داعي لتشعر بالسّوء. لدينا في الثلّاجة الكثير من الطعام، ونحن بحاجة إلى من يساعدنا على تناوله." وفجأة أدرك نِك الحقيقة. "هل هذا بعضُ الطعام الذي يجلبه

النّاس إلى متجرك؟ كنت أحاول فهمَ ماذا يجري. من هم هؤلاء النّاس؟"

مرّر أندي طبقًا إلى نِك وأجابه: "إنّهم مجرّد أشخاص من كنيستنا الواقعة في الشَّارع الخامس. إنهم يبقوننا مزوَّدين جيّدًا، وفي الواقع، يجلبون أكثر ممّا نستطيع استهلاكه، وفي بعض الأحيان يتعيّن علينا مشاركتُه مع الآخرين."

"حسنًا، أين تقع هذه الكنيسة في الشَّارع الخامس؟ أمرُّ في هذا الشَّارع كلّ يوم ولم أرَ قطّ كنيسةً في أيّ مكان."

ابتسم أندي وقال: "نعم، ستجد صعوبةً في تحديدِ موقعها. نلتقي في القاعة العامّة هناك عند زاوية الشّارع المسمّى "إلم". كنّا قبلاً نلتقي في قبو، ولكن مع ازدياد الجمع، اضطررنا إلى استئجار قاعة أكبر."

"والشّبابُ الذين كانوا هنا يغنّون هم جزءٌ من جماعتكم؟"

"نعم، إنّهم نعمة كبيرة لنا. فإنَّ ألمَ تيريزا يكون أحيانًا شديدًا للغاية، وتقدّمُ زياراتُهم لها شيئًا تتطلّع إليه. لكن يا تيريزا، أنتِ لم تنتهي من سرد قصَّتِنا."

نظرت تيريزا التي لم تبدُ أنها جائعة إلى أندي وابتسمت ثمَّ

قالت: "حسنًا، سأحاول الاختصار. لقد نجوتُ من الجولة الأولى من السَّرطان، لكنّه عاودني عدّة مرّات. وفي كلِّ مرّة أصبحتُ أضعف، وهذه المرَّة أصابني في عظامي."

حطّت عيناها على زوجها بحبٍّ واختتمت بمرح: "لكن يبدو أنَّ هذه الجولة ستكون الأخيرة."

شعر نِك بالارتباك. فإنّها لم تبدُ بخيرٍ على الإطلاق، وكانت عيناها غارقتَين وصوتُها ضعيفًا.

كيف يمكنها أن تكون واثقة من أنّها ستتعافى؟

"إذًا، يقول الأطباء إنّكِ ستتعافين بالكامل؟"

"كلّا يا نِك، لا يقول الأطبّاء ذلك على الإطلاق. لقد أبلغوني الأسبوع الماضي أنَّه ليس بوسعهم القيام بأيّ شيءٍ آخر، وربّما ليس لديّ سوى وقت قليل لأعيشه. لقد اعتنت بي دارُ الرّعاية جيّدًا، وكان أندي رائعًا. فما لم يتدخّل الله، لن أبقى على قيد الحياة لفترة طويلة. لكن لديّ ثقة كاملة في إلهي!"

ما مِن شيءٍ في مجموعة معتقدات نِك قد حضّره لهذا الموقف. كانت أمامه امرأةٌ مريضةٌ ميؤوسٌ من شفائها، لكنّها مبتهجة أمام احتمال الموت! هل كان هؤلاء النّاس بشرًا حقًّا؟ كانت نظرةٌ سريعةٌ على وجه أندي كفيلة بالإجابة عن هذا

السُّؤال. فقد كانت الدّموع تنهمر على خديه. نعم، كانوا بشرًا، لكن من الواضح أنّهم كانوا يمتلكون شيئًا نادرًا.

أكملت تيريزا الكلام، ملاحِظةً ارتباك نِك. "نِك، لقد أخبرني أندي عن غضبك الدّاخلي في ما يتعلّق بالله وعلى وجه التَّحديد تلكَ الأسئلة حول الألم والمعاناة. أفهم موقفك، ولا أستطيع أن أقول إنّ جميعَ أسئلتي قد أُجيبَ عنها، لكن اسمح لي بمشاركة بعض أفكاري."

وإذ كان أندي لا يزال يمسح دموعه، مدَّ يدَه وأمسك بيدها.

قالت تيريزا: "لقد تعلّمتُ الكثيرَ عن الله وعن نفسي من خلال المعاناة. لقد كانت فترة مذهلة، وقد نتج عنها الكثيرُ من الخير. لقد شاهدتُ النّاس يُحضِرون بمحبَّة مئات الوجبات، وينظّفون منزلي بابتهاج لأنّني لم أقوَ على ذلك، ويُظهِرون رأفة يسوع بطرُقٍ تفوق وصفي. وليس ذلك فحسب، بل إنّنا نتلقى كلّ يوم تقريبًا بطاقاتٍ ورسائلَ من أشخاص أكادُ لا أعرفهم."

استمع نِك إليها بذهول. هذا هو سببُ وصول كلّ ذلك البريد إلى متجر الدَرّاجات الصَّغير هذا! لاحظَتْ تيريزا ابتسامته.

"إنّني آسفة على الوزن الإضافيّ في حقيبة البريد الخاصَّة بك. ربّما تساءَلتَ عن سبب تلقّينا كلّ هذا البريد. فقد كان

العديدُ من هذه الأظرفة يحتوي على مبالغ من المال أو بطاقات هدايا من أشخاصٍ مجهولي الهويّة يريدون مشاركة محبَّة الله من دون التَعرُّفِ عليهم شخصيًّا."

نزلت دمعةٌ على خدِّها وهي تنظر إلى أندي قبل أن تكمل: "أنا لا أحاول التَّقليل من المعاناة، فقد كانت طويلةً وشاقة. وبالنّسبة إليّ انتهى الأمرُ تقريبًا، لكنَّ أندي قد يعيش لسنين أخرى وسوفَ يمرُّ بساعات من الوحدة. لكن عليك أن تفهم أنّ الإله نفسَه الذي كان معي سيكون معه أيضًا، وسوفَ تستمرُّ الجماعةُ التي دعمتني في دعمه. الله صالح جدًّا! أنا لا أفهم سببَ إصابتي بالسَّرطان ولماذا سمح الله بحدوث بعض الأشياء، ولا أعرف لماذا لم نتمكَّن قطّ من إنجاب الأطفال الذين كنّا نتوقُ إليهم. لكنّنا رأينا صلاحَ الله في العديد من الطرُقِ الرّائعة في الماضي لدرجة أنّنا على استعدادٍ للوثوق به في مستقبلنا وفي كلّ الأشياء التي لا نفهمُها. اللهُ صالحٌ، أليس هذا صحيحًا يا أندي؟"

نظر أندي إلى وجهها وهمس: "هذا صحيحٌ يا عزيزتي."

مسحت تيريزا دمعةً من خدِّ زوجها، ثمَّ نظرت إلى نِك بابتسامة شقيَّة، وخلصت إلى القول: "لذا، لكي لا يكون هناك أيُّ سوء فهم، لم يكن أندي مَن علّق تلك اللّافتة في المتجر، بل أنا!"

الفصل التاسع

توفّيت تيريزا بعد أسبوعٍ واحدٍ فقط. أمّا نِك، الذي لم يكن يتخيّل نفسَه قبل أسابيع قليلة جالسًا في جنازة مسيحيَّة، فقد وجد نفسَه منجذبًا إلى هناك. قال الجيران إنّ الجنازة ستُعقَد في صالة الألعاب الرياضيّة في المدرسة. تساءَل نِك عن السَّبب، وذلك لأنّ أندي أخبره أنّ جماعتهم لم تكن كبيرةً جدًّا. خمّن نِك أنَّ ربّما خمسين أو ستّين شخصًا سيحضرون الجنازة، لكنّه صُدم عندما وجد صالة الألعاب الرياضيَّة ممتلئةً بالكامل تقريبًا.

تعرّضَت السَّيدةُ الجالسة بجانبه لخسارة ماليَّة قبل عدَّةِ سنوات، وأخبرته بدموع كيف أمضت تيريزا وقتًا في الصَّلاة معها وشَجَّعَتها. غيّر نِك وضعيّة قدميه بانزعاج لكنّه حاول الاستماع إليها باحترام. وكان للرّجل الجالس على الجانب الآخر ابنٌ مشاكسٌ، وكان أندي قد اهتمّ به. نظر نِك إلى الحشد من حوله وتساءَل هل كان لديهم جميعًا قصص مثل هذه؟ كيف أمكن لهذين الزَّوجَين أن يؤثّرا في هذا العدد الكبير من الأشخاص؟

بعد خدمةٍ قصيرة، سار معظمُ النّاس إلى المقبرة العامَّة على بُعدِ بضعة مبانٍ. وفي أثناء سيرهم، سأل نِك النّاسَ كيف تعرّفوا إلى أندي وتيريزا. بدا أنَّ لكلّ شخص قصَّةً معهما. أخبره بعضُهم كيف ساعدهم أندي، وآخرون كيف ألهمَهم صبرُ تيريزا طوال سنوات من المعاناة.

في جميع مراسمِ الدَّفن الأُخرى التي حضرها نِك، يقول أحدُهم بضعَ كلمات بينما يجلس العديدُ من الرّجال الضّجرين على جرّافة بعيدًا، بانتظار مغادرة الحشد الحزين حتى يتمكّنوا من إنهاء عملهم. لكنّ هذا الدَّفن كان مُختلفًا. رنّم أهلُ الكنيسة الترانيم وهم يردمون القبرَ بالمجارف! حنى كتفيه ليتّقيَ البرد وراح يتأمّلُ في وجوههم. لم يسبق له أن رأى أناسًا يغنّون بلا خوف في وجه الموت. ما كان سرُّهم؟

وبينما كان نِك يستقلّ درَّاجته التي أُصلِحَت حديثًا إلى منزله، فكَّر في ما اختبره للتَوّ. في بعض النّواحي، كانوا يشبهون أيَّ شخص آخر؛ فقد تشاركوا الدّموع والعناق، ومن الواضح أنّهم كانوا سيشتاقون إلى تيريزا وأنّهم شعروا بالخسارة. ومع ذلك، كان شيءٌ ما مختلفًا للغاية. فعلى الرّغم من أنّهم شعروا بالحزن وخيبة الأمل، كان لديهم رجاء!

كان لدى نِك الكثير ليفكّر فيه في الأيّام القليلة المقبلة. لقد استمع إلى التفسيرات التي تحدّت نظام معتقداته بالكامل، وشاهد شخصًا يقترب من الموت بسلام وفرح. لم يكن يعرف ماذا يفعل بكلّ ذلك.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى وجد نفسَه منجذبًا إلى متجر أندي. بعد الاستفسار عن كيفيَّة تعامل أندي مع خسارته، انتقل نِك بتردّدٍ إلى طرح أسئلته.

"أندي، كنتُ أفكّر في مناقشاتنا، وقد وضعتَ أمامي بعضَ الأمور العميقة التي يجدرُ بي التفكيرُ فيها. لكنَّ الأسئلة لا تزال تدور في ذهني. لماذا أنتَ مختلف إلى هذه الدَّرجة؟ يبدأ معظمُ المسيحيّين كلامَهم بإخباري بأنّني ذاهبٌ إلى الجحيم، ويطلبون منّي قبولَ يسوع في حياتي، ويقولون لي إنّه إذا صلَّيتُ صلاةً صغيرة فسيكون كلُّ شيء على ما يرام بيني وبين يسوع."

جلس أندي للحظة منحنيَ الرأس قبل أن يجيبَه: "يا نِك، لا يمكنُني التحدّث نيابة عن الآخرين، لكن هل فكّرت في أنَّ الله قد يكون مهتمًّا بإحضار السَّماء إلى الأرض بقدر اهتمامه بدخول النَّاس إلى السَّماء؟"

عبسَ نِك وسأل: "ماذا تقصد؟"

"عندما عاش يسوع هنا على الأرض، لم يقضِ الكثيرَ من الوقت في إخبار النَّاس عن كيفيَّة الوصول إلى السَّماء. فعلى ما يبدو لم تكن تلك هي رسالتَه الأساسية. لا تسِئْ فهمي، فالسَّماء والجحيم موجودان. لكن من الممكن أن ننشغلَ كثيرًا بالجدل حول أفضل صيغة لإنقاذ النّاس من الجحيم لدرجة أنّنا نفقد رسالةَ يسوع الأساسيَّة."

"وما هي؟"

"عُدْ قليلاً إلى دروس مدرسة الأحد. أتذكُر كيف خلق الله أوّلاً عالمًا كاملاً؟ ثمَّ ماذا حدث بعد ذلك؟"

"عصى آدمُ الله وأكل نوعًا من الفاكهة."

"هذا صحيح! تمرّد الإنسان على الله وانقطعت العلاقة بينهما، فجاء يسوع إلى الأرض ليُعيد تلك العلاقة المفقودة. لكنه لم يأتِ فقط ليخبر النّاس كيف يتصالحون مع الله بشكلٍ فرديّ. فقد كانت تعاليمُه تدور حول شيءٍ أسماه ملكوت الله. أراد مجتمعًا من مؤمنين يتفاعلون ويحبّون ويهتمّون بعضُهم لبعض ويُظهِرون للعالم المكسور شيئًا جميلًا ومختلفًا كلّ الاختلاف. بعد تجربتك مع المسيحيّين، قد يكون صعبًا بالنّسبة إليك تصديقُ ذلك، لكن اذهب إلى المنزل واقرأ العهد الجديد، ولاحظ كم مرّة تكلّم فيها يسوع عن ملكوت الله."

توقّف أندي لحظة قبل المتابعة.

"للأسف، فقدَ كثيرون هذه الرّسالة. لكنَّ يسوعَ جاء ليكشف عن قصد الله الأصليّ للعالم. لقد عاش وعلّم عن المحبَّة التي لطالما أراد الله أن يتمتّع بها أولاده، وعن عالم يحبُّ فيه النّاسُ بعضُهم بعضًا ولا يتأثرون بالمال أو الممتلكات ويتّسمون بالرّحمة ويعاملون الآخرين كما يريدون أن يعامَلوا."

"لكنّني كنتُ أظنّ أنَّ الرّسالة المسيحيَّة الرئيسيَّة كانت عن موت يسوع ورفعِه خطايانا."

"هذا من صميم الرّسالة؛ فقد مات يسوع وقام منتصرًا على الموت حتى نحصل على مغفرةٍ للخطايا وعلاقةٍ وثيقةٍ مع الله، ولكن ليس هذا إلّا البداية. فإنّه يريد أيضًا أن يتمكَّنَ كلُّ إنسان من العَيش كما عاش هو. جاء يسوع لتمكينِنا من المشاركة في هذا الملكوت العظيم الذي روَّج له."

"إذًا ما هو دَورُ الكنيسة في كلّ هذا؟"

"تخيَّلِ العالمَ، أي عالمنا، في ظلامٍ دامس."

رسم أندي شكلَ كرَةٍ بيديه. "تخيّل رجالاً يعيشون في هذا الظّلام. إنّهم محبطون ومتعبون وغير قادرين على الخروج من

وضعهم اليائس. يعبرون كلّ يوم محاولين البقاء على قيد الحياة في بيئةٍ ميؤوس منها. وهذا كلّه هو نتيجة عصيانهم، لكنّهم لا يعرفون ذلك. لذا يستمرّون بتلمّس الأشياء في الظلام، ويصلون إلى استنتاجاتٍ خاطئة عن الله."

فسأل نِك بسخرية: "تقصد مثل تخيُّلِ أنَّ إلهًا كلّيَّ القدرة لا يمكن أن يكون صالحًا؟"

ضحك أندي وقال: "بالضّبط! إنّهم بعيدون عن الحقيقة لدرجة أنّهم غير قادرين على تخيّل خالق طيّب وصالح. تخيّلِ الآن أنَّ الخالق يريد تغيير هذا. ما الذي بوسعه أن يفعله؟"

أجاب نِك: "لستُ أدري. ربّما يمكنه أن يشرح لهم نيَّتَه الأصليَّة أو يرسل شخصًا ليريَهم شيئًا مختلفًا؟"

"بالضّبط! حاول الله مرارًا وتكرارًا أن يشرح لهم نفسه. أرسل الأنبياء، وأظهر قوّته من خلال الأمّة القديمة، وأرسل أخيرًا ابنه ليقدّم صورة دقيقة عن هويّة الله الحقيقيّة. من خلال موت المسيح وقيامته، فتح طريق العودة إلى الآب.

عندما عاد يسوع إلى أبيه، أراد من أتباعه أن يواصلوا عمَلَ المصالحَة بينَ الآب والبشَر. لقد تخيّلَ مجموعاتٍ صغيرة من النّاس المفديّين والذين أُعيدوا إليه، مثل مشاعل حول هذا العالم

المُظلِم تنشر النّور النابع من الآب. يجب أن تكون الكنائس عبارة عن جماعات صغيرة من الناس يلتزمون بربّهم وبعضهم ببعض، ويتّبعون باهتمامٍ مثالَ يسوع، ويُظهِرونه بشكلٍ جماعيّ إلى العالم المُظلِم.

عندما يشاهد الآخرون كيف يعيش هؤلاء الناس وكيف يتفاعلون وكيف يحبّون بعضُهم بعضًا، فإنَّ ذلك يجذب انتباههم. وفي وسط ظلام الأنانيَّة، يتألَّق هؤلاء الناس كالنّور! إنّهم يربّون الأطفال في بيئة مُحِبَّة، ويعتنون بالمعاقين ذهنيًّا وكبار السِّن، ويتشاركون مواردهم الماليَّة، ويُظهرون حبّ التَّضحية بالنَّفس بطرق لا تُعَدّ ولا تحصى. إنّهم ضوءٌ ساطعٌ في عالمٍ مظلم، ولا بدّ للنّاس القابعين في الظلام من أن ينتبهوا ويلاحظوا. فلا يمكن لهؤلاء إلّا أن يتخيّلوا كيف سيكون العالمُ في حال تحلّى الجميعُ بهذه القوّة وعاشوا على هذا النَّحو."

مكث نِك صامتًا للحظة قبل أن يبدأ برَدِّهِ ببطء. "هذا ما شعرتُ به عندما شاهدتُ كيف تهتمّ كنيستك بتيريزا، لكنّ هذا ما يحيّرني أيضًا يا أندي. ألتقي بأشخاصٍ طوال الوقت يتصرّفون كما لو أنَّ الشَّيء الوحيد المهمّ هو التوقيعُ على منشور ما، أو حضورُ اجتماع ما، أو أداءُ صلاة صغيرة. وبعد ذلك، إذا تمكّنوا من إدخالك إلى كنيستهم، فإنهم يريدون أخذَ أموالك على الفور.

وكأنّهم قاموا ببناء قاعة أو شَيءٍ من هذا القبيل، ويبحثون الآن عن المزيد من الأشخاص لتمويلها."

تنهَّدَ أندي وأومأ برأسه وقال: "كنتُ أعاني الإحباط عينَه في أثناء بحثي عن الحقيقة. أنا لا أقول إنَّ من الخطأ امتلاك مبنى، ولكن هذا هو السَّبب الذي دفع كنيستنا في الشَّارع الخامس إلى استئجار مبنى بدلاً من بذل الكثير من الطاقة والمال في أحد المباني."

"لكن إذا كانت المسيحيَّةُ صحيحة، فلماذا يوجد كلُّ هذا النّفاق؟ لماذا يدّعي الكثيرُ من الناس مثل والدتي شيئًا ويعيشون نقيضَه في السِّرّ؟ ولماذا الخلافُ والتباينُ في الآراء؟"

"هذه أسئلة ممتازة يا نِك، لكن لا تسمح لها بأن تمنعَكَ من البحث عن الحقيقة. عندما كنتُ أبحث، ذكّرَتْني المسيحيّةُ بنهرٍ موحِلٍ وواسع. كان النّاسُ في النَّهر يصرخون إلى الناس الواقفين على الضفَّة، ويشجّعونهم على القفز والانضمام إلى الكنيسة. لكنّ الناسَ الذين على الضفَّة نظروا إلى الحياة الموحِلة حيثُ كان الواقفون في النَّهر وتردَّدوا إذ لمسوا الرّياء. إذا لم يكنِ الإنجيلُ قويًّا بما يكفي لتغيير حياة الناس، فلماذا يقفزون؟ لقد تصارعتُ مع هذا السُّؤال عندما نظرتُ للمرَّةِ الأولى إلى الأديان."

"إذًا ماذا فعلتَ؟"

"قرّرتُ إجراءَ المزيد من التَّحقيق في المصدر. فعدتُ إلى الكتاب المقدَّس وكتابات الكنيسة الباكرة بعد المسيح بمئتي عام تقريبًا. إنَّ الكثيرَ ممّا يُدرَّسُ اليوم لم يكن ليَعترفَ به هؤلاء الأشخاص الأوائل على أنّه إنجيلُ يسوع المسيح. ولكن إذا كنتَ ترغب في البحث، يمكنك العثور على إجاباتٍ جيّدة وقويَّة عن أسئلتك، حتى تلك التي لم تطرحْها بعد. فالكتاب المقدَّس كتابٌ رائع!"

أشار أندي إلى الكتاب المقدَّس الموضوع على مكتبه. "كلُّ شكوى سمعتُها عن الله، وكلُّ ما يظهر عنه وكأنّه ظلم، وحقيقةُ أنَّ اللهَ لا يستجيبُ دائمًا لنا عندما نريد ذلك منه، وفكرةُ أنّ الحياةَ تبدو غير عادلة في بعض الأحيان، جميع هذه الأمور موجودة في الكتاب المقدّس. تخيَّلْ كم هذا صادق! إذا كنتُ سأكتب كتابًا عن إلهٍ وهميّ، فمن المؤكّد أنّني لن أُدرجَ في الكتاب ما لا يعجبُني عن ذلك الإله!"

وضع نِك يديه في جيبَيه وراح يحدّق بطرَف حذائه، ثمَّ قال: "لكن إذا قرّرتُ أن أكون مسيحيًّا، فسأضطرُّ على الأرجح إلى التخلّي عن الحفلات والشرب، أليس كذلك؟"

نهض أندي وسار عبر الغرفة ثمَّ استدار نحو نِك وقال له: "هذا سؤالٌ جيّدٌ يا نِك. صحيحٌ أنَّ اتّباع يسوع أمرٌ مُكلف، لكن ليس هذا هو السُّؤال الأهمّ بالنّسبة إليك الآن."

"ما الذي تعنيه؟ من السَّهل بالنّسبة إليكَ أن تقول إنَّ هذه الأشياء ليست مهمَّة، أمّا أنا فأحيا من أجلها! ما هو السّؤال الأهمّ الذي يجب أن أطرحَه؟"

توقَّف أندي للحظة قبل الرَدّ. "أشجّعُك يا نِك على الاستمرار في التَّفتيش عن الله. والسّؤال الذي يجب أن تركّز عليه الآن هو: هل ما قاله يسوع المسيح عن نفسه صحيحٌ؟ وعندما تجد الجواب عن هذا السّؤال، ستصبح الإجابات عن الأسئلة الأخرى واضحة."

استدار نِك، تائهًا في أفكاره. فأمامه الكثيرُ من التفكير الجدِّيّ.

رحلةُ المؤلف

على الرّغم من أنَّ شخصيّات هذه القصَّة خياليَّة، فإنّ الشُّكوك التي عبّر عنها نِك واقعيّة. يطرح العديدُ من الأشخاص الذين يبحثون عن الحقيقة بصدقٍ أسئلةً مماثلة. نُدرك جميعًا أنَّ الأمور ليست سليمة في عالمنا. يخبرنا الصَّوتُ الداخليّ أنَّ ثمَّة أمرًا ليس على ما يرام، ونجد أنفسنا نطرح أسئلة مثل: لماذا لا يستطيع الناس التعايش؟ لماذا العلاقات الإنسانية صعبة للغاية؟ لماذا لا يزال الفقر موجودًا؟ لقد ضخّت الحكوماتُ ومنظّماتُ الإغاثة مليارات الدّولارات في المساعدات الإنسانيَّة، لكنَّ الجوعَ مستمرّ. وماذا عن السّياسة؟ لقد سمعتُ بعض الناس يتساءَلون لماذا لا تستطيع الدّول الحديثة والمثقّفة والديمقراطيّة أن تأتي بمرشحين جيّدين في وقت الانتخابات.

وفي ضوء كلّ التقدّم العلميّ الذي حقّقه الإنسان، لماذا لا يزال لدينا تطهيرٌ عرقيٌّ وديكتاتوريّون قاسون وتنمّرٌ في المدارس وعمليّاتُ إطلاق نار جماعيّة؟ لماذا قليلٌ من الناس فقط لديهم ثروة كبيرة والسَّواد الأعظم ثروتُه ضئيلة جدًّا؟ هل نحن قادرون

حقًّا على رسم خريطةٍ للحمض النَّوويّ البشريّ والسَّفر في الفضاء وإنتاج مجموعة واسعة من الأدوات الإلكترونيَّة المذهلة، ولكنّنا ما زلنا لا نستطيع أن نُطعِم جميع الأطفال؟

إنّ هذه الأشياء تزعجنا. من المؤكّد أنَّ الأمور يمكن أن تكون أفضل. يجب أن تختفيَ كلُّ الآلام وعدمُ المساواة التي نشهدها من الوجود. يقودنا هذا إلى السُّؤال الذي تصارعَ معه نِك: كيف يمكن لأيّ شخص أن يؤمن بأنَّ الله كلِّيُّ القدرة وصالحٌ إذا كان هو المتَحَكّم بهذه الفوضى؟

لا أعرف ما إذا كنتَ قد واجهتَ صعوبةً مثلي أنا في الإجابة عن هذا السُّؤال أم لا. لقد نشأتُ في منزلٍ مسيحيٍّ وتعلّمتُ أنَّ الكتاب المقدَّس هو حَقّ. ومع ذلك، في أعماقي، تصارعتُ مع العديد من الأسئلة. من أين أتى هذا العالم؟ هل من الممكن، على الرّغم ممّا يعلّمه الكتاب المقدَّس، أن يكون كونُنا قد نشأ عن طريق تصادمٍ كونيّ؟ هل يمكن أن يكون وجودي مجردَ نتيجة حادثٍ جزيئيٍّ غريب؟

أو إذا كان الله موجودًا بالفعل كما يعلّم الكتاب المقدَّس، فكيف يمكنه أن يكون مُحِبًّا ويسمح للشرّ بإحداث الفوضى؟ لقد حيَّرني هذا السُّؤال عندما كنتُ شابًّا، أمّا اليوم فإنّني أنظر إليه من منظور مختلف.

بحُكمِ عملي، أذهب إلى البلدان النامية الفقيرة وأقضي وقتًا مع الأشخاص الذين يعيشون في فقرٍ مدقع. إنّني أعمل مع الأطفال الذين نشأوا في ظروفٍ يرثى لها. فيعيش كثيرون في دوّامة فقرٍ يبدو كسرُها مستحيلاً. هناك مجارير مفتوحة، ولا توجد مياه نظيفة، وثمّة أملٌ ضئيل في إحداث تغيير كبير. إنّ المرض والمجاعة والكوارث الطبيعيَّة تصيبهم باستمرار. فكيف يمكن لإلهٍ مُحِبٍّ أن يرى جميعَ هذه الأمور ويسمح لها بالاستمرار؟ ألا يأبَهُ للبؤس البشريّ؟

لقد تصارعتُ مع جميع هذه الأسئلة، ومع ذلك اخترتُ أن أومنَ، وقرّرتُ أن أثقَ في إلهٍ مُحِبٍّ وقادرٍ على كلّ شيء. لكن لا يعني هذا أنَّ الطريق إلى الإيمان كان سهلاً.

في أثناء بحثي عن إجابةٍ منطقيّة حول مسألة أصل الوجود، وجدتُ أنَّ التَطوُّر غير كافٍ على الإطلاق. إذا كان التطوُّر قويًّا ومعجزيًّا بما يكفي لتحويل حثالة البرَك إلى التَّعقيد المذهل الذي يميّز الحياة التي نلاحظها من حولنا، فقد كان من المفترض الآن أن يحلَّ بسهولة القضايا الأصغر مثل الفقر في العالم، أو العلاقات الإنسانيَّة، أو الدِّيكتاتوريّين القساة. هذه قضايا بسيطة مقارنةً بتطوير شيء معقّد مثل العين البشريَّة. علاوة على ذلك، لم يحاول التطوّر قطّ الإجابة عن السؤال الأكبر: من أين أتت تلك البِركَةُ الأصليَّة؟

لماذا لا نسمع المزيد عن هذا السّؤال الحقيقيّ والحاسم عن أصل الوجود؟ تبدو الإجابة واضحة وتشير إلى حقيقةٍ لا يرغب الكثيرون في مناقشتها. بينما ألاحظ مدى تعقيد هذا العالم المذهل الذي نعيش فيه، لا يمكنني الهروب من رؤية الدَّليل على وجود مصمّم له. إذا كان السَّبب موجودًا، فلا بدَّ من وجود مسبّب في بادئ الأمر.

لقد توصّلتُ أيضًا إلى الاعتقاد بأنَّ هذا المصمّم الأسمى يحبّ الإنسانيَّة. وعلى الرّغم من أنّني لست عالِمًا، فإنّني استخدمتُ المنهج العلميّ للوصول إلى هذا الاستنتاج. خياري في تبنّي هذا الاعتقاد مبنيٌّ على الملاحظة. اسمحوا لي أن أشاطرَكم ما لاحظته.

منذ الطفولة كنتُ محاطًا بأفرادٍ يصرّحون بأنّهم أتباع ليسوع المسيح. كانت حياةُ الكنيسة بالنّسبة إليّ مشابهة جدًّا لما عاشه أندي وتيريزا مع المجموعة الصّغيرة في الشّارع الخامس. لقد رأيتُ فواتير ماليَّة ضخمة تُدفع من دون الكشف عن هويَّة من يدفعها، ومجموعاتٍ من الشّباب يغنّون لمَن يعانون، وأشخاصًا يجدون هدايا من الطعام في مطابخهم. لقد اختبرتُ الحصولَ على مساعدة مجّانية في مشاريع قمتُ بها لتحسين منزلي، وشعرتُ بذراعٍ تعضدني في أثناء التعامل مع خيبات الأمل

الشّديدة، ووجدتُ مظاريف مجهولةَ الاسم مليئة بالنّقود خلال الأوقات الصَّعبة. ليس هؤلاء الناس كاملين، لكنّهم يريدون حقًّا أن يكونوا مثلَ يسوع المسيح. إنّهم يرون أنَّ تعاليم يسوع ليست مجرّد أقوال قاسية تهدف إلى إظهار مدى سوءِ حالنا، بل أنّها قصدُ الله الأصليُّ لعالمنا. يريد منّا الله أن نحبَّ ونشاركَ ونعتني بعضُنا ببعض. إنّه يرغب في عالم يكترثُ فيه الناس للأذى، ويودّ أن تعكسَ كنيستُه اليوم ما يتمنّاه للعالم. إذا كان عالمنا كلّه مثل الأشخاص الذين كنتُ محاطًا بهم، فسيكون مكانًا جميلًا.

لقد رأيتُ أناسًا تغيّرت حياتهم، وشاهدتُ رجالًا ونساءً أنانيّين يؤمنون بيسوع المسيح ويتغيّرون كليًّا. وقد رأيتُ هذا على مستوى محلّي، ولكن أيضًا في العديد من الأماكن حول العالم. أتذكّر زوجًا وزوجةً في بنغلادش تعرّفا بيسوع مؤخّرًا. كانت تلك المرأة تُعرَف في مجتمعهم بأنّها بغيضة ومشاكسة، لكنّها آمنَت بيسوع، وبعد بضعة أشهر بدأ زوجُها بالاستفسار عنه. يعيش هذان الزَّوجان في منطقة حيث قد يؤدِّي الإيمانُ بيسوع إلى الاستشهاد، لذلك تساءَلَ النَّاسُ لماذا اختار أن يصبح مسيحيًّا.

كانت إجابته بسيطة: "قبل أن تقرّرَ زوجتي اتّباعَ يسوع، كانت أنانيَّة ومن الصّعب العيش معها. أمّا الآن فقد أصبحَت مُحِبّة وتغيّرت تمامًا. لقد نظرتُ إلى حياتي، وأدركتُ أنّني أنانيٌّ

للغاية وأحيانًا من الصّعب العيش معي. أريد فقط أن يكونَ يسوعُ الذي أحدَثَ مثل هذا التغيير الجذريّ في حياتها موجودًا في حياتي أنا أيضًا!"

لقد رأى ببساطة شيئًا قويًّا بما يكفي لإحداث تغيير، وأراده بشدَّة لدرجة أنّه كان على استعداد للتعرّض للاضطهاد. لهذا السَّبب أصبحتُ أحبّ الكتاب المقدَّس ورسالة الخلاص من خلال يسوع المسيح والقوَّة التي يوفّرها لمن يؤمنون.

هذه مجرّد أمثلة قليلة على أمورٍ لاحظتُها في حياة أولئك الذين اختاروا اتّباع يسوع في الحياة اليوميَّة. ثمَّة أشياءُ كثيرة ما زلتُ لا أفهمها، لكنّني رأيتُ ما يكفي لأعلم أنَّ الله يعمل في عالمنا، وكما يخبرنا الكتاب المقدَّس، فإنَّ الله سوف يُصلِح الأمور في النّهاية.

منذ عدّة سنوات كنت أستقلّ حافلةً عبر مدينة مانيلا في الفلبين. وتُعدُّ مانيلا واحدةً من أكبر المناطق من حيث الكثافة السكّانيَّة في العالم، وجزءٌ كبيرٌ من المدينة هو عبارةٌ عن حيٍّ فقير. كانت حركة المرور شديدة البطء، واستغرق الأمرُ معظمَ النَّهار لكي أصل إلى وجهتي. لذا جلستُ لساعات أنظر إلى الفقر المدقع الذي يمرّ ببطء أمام نافذتي: أكواخ من الصّفائح الصَّدِئة، وأطفال قذرون يرتدون ملابس تغطي نصف أجسادهم، وعنف

منزلي، وظروف معيشيّة مروّعة. وبعد بضع ساعات من مشاهدة هذه الأمور، أدركتُ فجأة أنَّ الدُّموعَ تنهمر على خَدَّيّ. هذا أمر لا يجوز! لماذا جزءٌ كبيرٌ من عالمنا في هذه الحال؟

وفيما كنتُ أمسح دموعي، صدمني سؤالٌ عميقٌ آخر: لماذا يزعجُني هذا الموضوع؟ ما الذي يُنبئُني بأنَّه ثمّة مشكلة في هذا المشهد؟ إذا كنّا مجرّد حوادث كونيَّة ومخلوقات عجيبة نتيجة بعض الانفجارات، فلماذا يمسُّنا الألمُ والمعاناةُ لدى البشر؟ وإذا لم يكن هناك خالقٌ ولا معيارٌ مطلق للصَّواب والخطأ ولا حقيقةٌ مطلقة فلماذا نحن مضطربون؟

كانت الإجابة واضحة ومريحة. إنَّ الرأفة كشفت لي ليس عن صدفة كونيَّة غريبة بل عن أنّ خالقًا رحومًا خلقني. ويذكّرني التعاطفُ الداخليُّ بأنّني أكثر من نتيجة تصادم جزيئات. يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ الله خلقنا على صورته، وقد وجدتُ تعزيةً كبيرةً عندما أدركتُ أنّه إذا لم تكن الخليقةُ مسرورةً بكيفيَّة سَيْر الأمور، فالسَّبب هو أنّ الخالقَ بدوره ليس مسرورًا.

أودُّ أن أكونَ واضحًا جدًّا. على الرّغم من أنّني اخترتُ أن أومنَ بالله وأتبعَه، فإنّه لا يزال لديّ أسئلةٌ وأمورٌ كثيرةٌ لا أفهمها. لقد عشتُ بالقرب من أشخاصٍ عانوا آلامًا مزمنةً لسنواتٍ عديدة. لا أفهم لماذا لا يشفيهم الله وحسب، ولا أعلم لماذا تحدُث أمورٌ

سيّئة لأناسٍ طيّبين. كما أنّني لا أفهم سببَ تعرّض بعض البلدان الفقيرة للغاية بشكلٍ متكرّر للأعاصير وأمواج التسونامي وتلف المحاصيل، ولا أفهم لماذا خلق الله اللذَّة أو لماذا يغدقُ علينا غروبَ الشَّمس.

لا أستطيع أن أفهم لماذا سمح الله بأن يُشَوَّه وجهُ المسيحيَّة، ولماذا يسمح للمسيحيّين بحملِ اسمه والادّعاء بأنّهم يتبعون المسيح المُحِبّ بينما يروّجون للعنف والقصف والعدوان العسكري. كيف يدّعي الناسُ أنّهم يتبعون يسوع من دون أن يتبعوه حقًّا؟

لكنّني أرى أيضًا أمورًا تمنحني رجاءً كبيرًا وتزيد إيماني بالله. لقد عاينتُ البَرَكَة الناتجة عن المعاناة، ورأيت الله يفتدي الناس في مواقفَ بدَت مأساويّة، ورأيت العديدَ من أتباع يسوع يختارون العيشَ في أماكن صعبة وخطيرة للغاية حول العالم بهدف مساعدة الآخرين. لقد مكَّنَتْهم قوّةُ يسوع المسيح في داخلهم من الابتعاد عن العيش في أمانٍ كطبقةٍ وسطى في أمريكا بدافع الرَّغبة في مباركة الأقلّ فَرَجًا. وشاهدتُ مؤمنين هنا في الولايات المتّحدة يجلبون آباءَهم المسنّين إلى منازلهم في خلال سنوات حياتهم الأخيرة، مدركين أنَّ العنايةَ بهم ستحدُّ بشكلٍ كبيرٍ من حريّاتهم الشَّخصيَّة وحياتهم الاجتماعيَّة. وتطولُ القائمة.

باختصار، لقد رأيتُ الله يعمل في حياة الآخرين وشعرتُ بمحبَّتِه وقدرته على تغيير حياتي. وشاهدتُ واختبرتُ ما يكفي من قدرته الفدائيَّة لأثق به في كلّ ما لا أستطيع فهمَه. لا تزال بعضُ المواقف تبدو خاطئة للغاية، لكنّني أعيشُ واثقًا بأنَّ الكتاب المقدَّس صحيح. وسيأتي يومٌ تُصَحَّح فيه جميعُ هذه الأخطاء، ويُقهَرُ الشرُّ بالخير، ويحيا أولئك الذين يتبعون يسوع الآن معه إلى الأبد في سلام.

هناك أشياءُ كثيرة لا أفهمها، لكنّني رأيتُ ما يكفي كي أصبح، على الرّغم من أسئلتي، شخصًا يُعلِن للملا بأنَّ "الله صالح!"

إذا كانت لديك أسئلة أو ترغب في إيجاد أتباع ليسوع آخرين جادّين في فعل ما يقوله، يرجى التواصل على العنوان التالي:

kingdomquestions@gmail.com

موارد أُخرى للمزيد من الدّراسة

إذا كنتَ ترغب في معرفة المزيد عن ملكوت الله أو الدّفاعيات المسيحيَّة، فإليك بعض الموارد الإضافيَّة التي قد ترغب في مطالعتها:

The Kingdom That Turned the World Upside Down **(المملكة التي قلبت العالم رأسًا على عقب)**، ديڤيد بيركوت

هذا مؤلَّف ممتاز عن الكنيسة الباكرة وحبِّها لملكوت الله، وكيف أثّر إخلاصُها ليسوع في العالم الرّوماني. إذا كنت جادًّا في طلب الله والتعرّف بالكنيسة الباكرة، فهذا مصدرٌ ممتاز.

The Case for Faith **(قضيَّة إثبات الإيمان)**، لي ستروبل

ألّفَ هذا الكتابَ أحدُ المشكّكين الذي قرّر التحقّق من الدِّين المسيحيّ بنفسه. يؤرّخ الكتابُ التَّحقيقَ الذي

أجراه. إنه كتابٌ جيّدٌ للمفكِّر والمشكِّك والشَّخص الفضوليّ الذي يريد بجديّة اكتشافَ الحقيقة.

Who Moved the Stone? **(من أزاح الصَّخر؟)**،
فرانك موريسون

يكاد يكون هذا الكتابُ كتابَ اعترافات، وقد ألّفَه رجلٌ كان هدفُه فضحَ الدّيانة المسيحيّة على أنّها مُخادِعَة. توخّى إثباتَ أنَّ قيامة يسوع لم تحدث في الواقع، لكنّ تحقيقَه كشف له الكثيرَ من الحقائق التاريخيَّة التي لا يمكن دحضها لدرجة أنّه آمن في النّهاية بيسوع المسيح.

Evidence That Demands a Verdict **(الدّليل الذي يستدعي الحُكم)**، جوش ماكدويل

كُتِبَ هذا الكتاب كمصدرٍ مرجعيٍّ للباحثين الجادّين، ويحتوي على وفرةٍ من الأدلّة التاريخيَّة التي تدعم قيامة يسوع المسيح. ويقدّم العديدَ من المراجع العلمانيَّة خارج سَرْد الكتاب المقدَّس والتي تدعم دقّة الكتاب المقدَّس التاريخيّة.

عن المؤلِّف

نشأ غاري ميلر في كاليفورنيا ويعيش اليوم مع زوجته پاتي وعائلته في شمال غرب المحيط الهادئ. يعمل غاري مع الفقراء في البلدان النامية ويدير مشروع القروض الصُّغرى (SALT Microfinance Solutions) التابع لخدمات المعونة المسيحيَّة (CAM). يقدّم هذا البرنامج تعليمًا تجاريًّا وروحيًّا لأولئك الذين يعيشون في فقرٍ مزمن، ويوفّر لهم قروضًا صغيرة، ويُنشئُ مجموعات ادّخار قرويّة محليّة، ويساعدهم في تعلُّم كيفيَّة استخدام مواردهم التي وهبهم الله إيّاها لكي تصبح مستدامة.